السِّيرَةُ النَّبَوِيَّةُ

للأطفالِ والنَّاشِئَةِ

تأليف

مُسعدُ حُسين محمَّد

شبكة الألوكة
www.alukah.net



مسعد حسين محمد

دار الدعوة
للنشر والتوزيع




بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَة

إن الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فإن سيرة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لها أهمية عظيمة في تربية الأبناء على حب الله ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكذلك كي يتربى الأبناء على الاقتداء برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ امتثالًا لقول الله تَعَالَىٰ:

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

وهذا الكتاب «السيرة النبوية للأطفال والناشئة»، جمعت فيه بفضل الله أهم الأحداث في سيرة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من نسبه ومولده، حتى وفاته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وجعلت هذا الكتاب أسلوبه سهلًا ومبسطًا، حتى يتمكن الأطفال من فهمه، ويكون عونًا لهم على معرفة سيرة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.





والله يوفق الجميع لما فيه الخير والرشاد.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه

مسعد حسين محمد

عضو اتحاد الكتاب المسلمين

ومؤلف برابطة العالم الاسلامي

٠١١٢٥٨٠٧٨٨٧ - ٠١٢٢٣٨٤٠٠١٢

كفر الدوار- البحيرة

نسب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

هاجر إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ من العراق إلى فلسطين، فاتخذها قاعدة لدعوته، وكانت له جولات في أرجائها وأرجاء غيرها من البلاد، ليدعو الناس إلى عبادة الله، وفي إحدى هذه الجولات مر إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ على ملك من الجبابرة، ومعه زوجته سارة، وكانت من أحسن النساء، فأراد ذلك الجبار أن يؤذيها، ولكن سارة دعت الله تَعَالَىٰ عليه فرد الله أذاه، وعرف الظالم أن سارة امرأة صالحة ذات مرتبة عالية عند الله، فأعطاها هاجر لتخدمها اعترافًا بفضلها، أو خوفًا من عذاب الله، ووهبتها سارة لإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ورجع إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى قاعدته في فلسطين، ثم رزقه الله تَعَالَىٰ من هاجر ابنه إسماعيل، وصار سببًا لغيرة سارة حتى اضطر إبراهيم إلى إبعاد هاجر مع ولدها الرضيع إسماعيل، وكان ذلك كله تنفيذًا لأمر الله تَعَالَىٰ، فقدم بهما إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى الحجاز، وأسكنهما بواد ليس فيه زرع، عند بيت الله المحرم، الذي لم يكن إذ ذاك إلا مرتفعًا من الأرض، تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وشماله، فوضعها فوق زمزم في أعلى المسجد، وليس بمكة يومئذ أحد،



وليس بها ماء، فوضع عندهما جرابًا فيه تمر، وسقاء فيه ماء، ورجع إلى فلسطين.

ولم تمض أيام حتى نفد الزاد والماء، وهناك تفجرت بئر زمزم بفضل الله فشربا منها وارتويا.

وجاءت قبيلة يمانية وهي جرهم فسكنت مكة بعد أن أذنت لهم أم إسماعيل يقال: إنهم كانوا قبل ذلك في الأودية التي بأطراف مكة، ثم نزلوا مكة بعد إسماعيل، وقبل أن يشب، وأنهم كانوا يمرون بهذا الوادي قبل ذلك.

ثم إن إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ لما شب وتعلم العربية من جرهم، زوجوه امرأة منهم، وقد رزق الله إسماعيل اثنى عشر ولدًا ذكرًا، وهم: نابت أو نبايوط، وقيدار، وأدبائيل، ومبشام، ومشماع، ودوما، وميشا، وحدد، وتيما، ويطور، ونفيس، وقيدمان.

وتشعبت من هؤلاء اثنتا عشرة قبيلة، سكنت كلها في مكة مدة من الزمان، وكانت أغلب معيشتهم إذ ذاك التجارة من بلاد اليمن إلى بلاد الشام ومصر، ثم انتشرت هذه القبائل في أرجاء الجزيرة بل وإلى خارجها.





ثـم انقطعـت أغلب هـذه القبائل مـع مرور الزمـن، إلا أولاد نابت وقيدار.

أما قيدار بن إسـماعيل فلم يزل أبناؤه بمكة، يتناسـلون هناك حتـى كان منه عدنـان وولده معـد، ومنه حفظت العـرب العدنانية أنسابها، وعدنان هو الجد العشرون في سلسلة النسب النبوي.

فمما وصل إلينا من النسب النبوي الشريف:

محمـد بـن عبد الله بن عبد المطلب واسـمه شـيبة بن هاشـم واسـمه عمرو بن عبد مناف واسـمة المغيرة بن قصي واسـمه زيد ابـن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر وهو الملقب بقريـش وإليه تنتسـب القبيلة بن مالـك بن النضر واسـمه قيس بن كنانـة بن خزيمة بن مدركة واسـمه عامر بـن إلياس بن نزار بن معد بن عدنان.

S S S



حفر بئر زمزم

أسندت السقاية والرفادة إلى هاشم بن عبد مناف، ثم صارت إلى أخيه المطلب بن عبد مناف لما صار إلى ابن أخيه عبد المطلب، فأقام لقومه ما كان آباؤه يقيمون لقومهم، وشرف في قومه شرفًا لم يبلغه أحد من آبائه، وأحبه قومه وعظم شأنه فيهم.

ثم رأى عبد المطلب في المنام أنه يؤمر بحفر بئر زمزم، ووصف له موضعها، وكانت قد دفنت من زمن بعيد، فقام يحفر، فوجد فيه الأشياء التي دفنها قوم جرهم حين رحلوا عن مكة، وكانت سيوف ودروع وغزالين من الذهب، فصنع من الأسياف بابًا للكعبة، وضرب في الباب الغزالين صفائح من ذهب، وأقام على زمزم سقاية للحجاج.

ولما ظهرت بئر زمزم وانهمر ماؤها، نازع زعماء قريش عبد المطلب فيها وقالوا له: أشركنا. قال: ما أنا بفاعل، هذا أمر خصصت به، فلم يتركوه حتى خرجوا به للمحاكمة إلى كاهنة بني سعد، فلما كانوا في الطريق نفذ الماء، فأنزل الله على عبد المطلب مطرًا، ولم ينزل عليهم قطرة منه، فعرفوا حينئذ تخصيص





عبد المطلب بزمزم ورجعوا، وحينئذ نذر عبد المطلب لئن آتاه الله عشرة أبناء، ليذبحن أحدهم عند الكعبة شكرًا لله على نعمته عليه.

فلما تم لعبد المطلب أبناؤه عشرة، وعرف أنه قد حان نذره، أخبرهم بنذره فأطاعوه، فقيل: إنه أقرع بينهم أيهم يذبح؟ فوقعت القرعة على عبد الله، وكان أحب الناس إليه، فأخذه عبد المطلب، وأخذ الشفرة، ثم أقبل به إلى الكعبة ليذبحه، فمنعته قريش، خاصة أخواله من بني مخزوم، وأخوه أبو طالب.

فقال عبد المطلب: فكيف أصنع بنذري؟ فأشاروا عليه أن يأتي عرافة فيستأمرها، فأتاها، فأمرت أن يضرب القداح على عبد الله وعلي عشر من الإبل، فإن خرجت على عبد الله يزيد عشرًا من الإبل حتى يرضى ربه، فإن خرجت على الإبل نحرها، فرجع وأقرع بين عبد الله وبين عشر من الإبل، فوقعت القرعة على عبد الله، فلم يزل يزيد من الإبل عشرًا عشرًا ولا تقع القرعة إلا عليه، إلى أن بلغت الإبل مائة فوقعت القرعة عليها، فنحرت ثم تركت، لا يرد عنها إنسان ولا سبع، وكانت الدية في قريش وفي العرب عشرًا من الإبل، فجرت بعد هذه الواقعة مائة من الإبل، وأقرها الإسلام.





حادثة الفيل

لما رأى أبرهة[١] العرب يحجون إلى الكعبة بمكة، ورأى تعظيمهم وتقديسهم لها، بني كنيسة كبيرة بصنعاء، وأراد أن يصرف حج العرب إليها، فلما سمع بذلك رجل من بني كنانة، دخلها ليلًا فلطخ قبلتها[٢]، ولما علم أبرهة بذلك ثار غيظه، وأقسم أن يهدم الكعبة، انتقامًا لكنيسته.

سار أبرهة بجيش عظيم عدده ستون ألف جندي إلى الكعبة ليهدمها، واختار لنفسه فيلًا من أكبر الفيلة، وكان في الجيش ثلاثة عشر فيلًا، وواصل سيره حتى بلغ موضعًا قرب مكة، وهناك عبأ جيشه وهيّأ فيله، وتهيأ لدخول مكة.

فلما كان في وادٍ بالقرب من البيت الحرام برك[٣] الفيل، ولم يقم لهدم الكعبة، وكانوا كلما وجهوه إلى الجنوب أو الشمال أو الشرق يقوم ويجري، وإذا وجهوه إلى الكعبة برك، فبينما هم كذلك إذ أرسل الله عليهم طيرًا أبابيل، ترميهم بحجارة من سجيل، فجعلهم كعصف مأكول.

---

(١) هو أبرهة بن الصباح الحبشي النائب العام عن النجاشي ملك الحبشة على اليمن.
(٢) رغم شركهم لكنهم كانوا يعظمون الكعبة بيت الله وتأخذهم الغيرة عليه.
(٣) جلس.






قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾ [الفيل: ١-٥].

كانت الطير أمثال الخطاطيف، مع كل طائر ثلاثة أحجار، حجر في منقاره، وحجران في رجليه أمثال الحمص، لا تصيب منهم أحدًا إلا صارت تتقطع أعضاؤه وهلك، وليس كلهم أصابت، وخرجوا هاربين يجري بعضهم خلف بعض، فتساقطوا بكل وادٍ وهلكوا على كل الطرق.

وأما أبرهة فبعث الله عليه داء تساقطت بسببه أصابعه، ولم يصل إلى صنعاء إلا وهو مثل الفرخ، وانشق صدره عن قلبه ثم هلك.

وأما قريش فكانوا قد تفرقوا في الشعاب، وتحرزوا في رءوس الجبال خوفًا على أنفسهم من مواجهة جيش أبرهة، فلما نزل بالجيش ما نزل رجعوا إلى بيوتهم آمنين.

وكانت هذه الحادثة في شهر المحرم قبل مولد النبي ﷺ، وكانت مقدمة قدمها الله لنبيه وبيته، لكي يلفت أنظار مشركي مكة لمكانة البيت الحرام، ولقدرة الله سبحانه القادر على كل شيء، تمهيدًا لمبعث النبي ﷺ.





مولد النبي صلى الله عليه وسلم

ذكرنا فيما سبق أن عبد المطلب كان له عشرة من البنين، وكان عبد الله أحسن أولاد عبد المطلب وأعفهم وأحبهم إليه، وهو الذبيح، الذي أنقذه الله من الذبح.

ولما كبر عبد الله وبلغ مبلغ الشباب، اختار له أبوه عبد المطلب آمنة بنت وهب، زوجة له، وهي يومئذ تعد أفضل امرأة في قريش نسبًا وموضعًا، وأبوها سيد بني زهرة نسبًا وشرفًا، فزوجه بها.

وبعد فترة قليلة أرسله عبد المطلب إلى المدينة ليشتري لهم تمرًا، فمات بها وجميع ما خلّفه عبد الله خمسة أجمال، وقطعة غنم، وجارية حبشية اسمها بركة وكنيتها أم أيمن، وهي حاضنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بعد.

لما مات عبد الله، ترك زوجته آمنة حاملًا في مكة، وكان يرعاها أبوه عبد المطلب، وكان الجميع ينتظر آمنة أن تضع مولودها، لكي يعوضهم عن فقدهم لعبد الله.

ولما جاء يوم الولادة حكت أم رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت: لما ولدته خرج مني نور أضاءت له قصور الشام.





ولما ولدته أمه أرسلت إلى جده عبد المطلب، تبشره بحفيده، فجاء مستبشرًا ودخل به الكعبة، ودعا الله وشكر له، واختار له اسم محمد وهذا الاسم لم يكن معروفًا في العرب وختنه يوم سابعه، كما كان العرب يفعلون.

حلول البركة في بني سعد:

وكانت العادة عند أهل المدن من العرب أن يبحثوا عمن يرضع أولادهم من أهل البادية، ابتعادًا لهم عن أمراض المدن، ولتقوى أجسامهم، وتشتد أعصابهم، ويتقنوا اللغة العربية في مهدهم فالتمس عبد المطلب لحفيده المراضع، واسترضع له امرأة من بني سعد بن بكر، وهي حليمة السعدية بنت أبي ذؤيب، وزوجها الحارث من نفس القبيلة. وإخوته ﷺ هناك من الرضاعة: عبد الله بن الحارث، وأنيسة بنت الحارث، وحذافة أو جذامة بنت الحارث وهي الشيماء وكانت تحضن رسول الله ﷺ، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ابن عم رسول الله ﷺ، وكان عمه حمزة بن عبد المطلب مسترضعًا في بني سعد بن بكر، فأرضعت أمه رسول الله ﷺ يومًا وهو عند أمه حليمة.



ورأت حليمة من بركته ﷺ، فكانت حليمة تحدث: أنها خرجت من بلدها مع زوجها وابن لها صغير ترضعه في نسوة من بني سعد، تلتمس الرضعاء.

قالت: وذلك في سنة شديدة لم تبق لنا شيئًا، قالت: فخرجت على أتان[1] لي، ومعنا شاة لنا، والله ما تحلب قطرة من لبن، وما ننام ليلنا أجمع من صبياننا الذي معنا، من بكائه من الجوع، ما في ثديي ما يغنيه، وما في شاتنا ما يغذيه، ولكن كنا نرجو الغيث والفرج.

فخرجت على أتاني تلك، فلقد تأخرت بالركب حتى شق ذلك عليهم، حتى قدمنا مكة نلتمس الرضعاء، فما منا امرأة إلا وقد عرض عليها رسول الله ﷺ فتأباه، إذا قيل لها: إنه يتيم، وذلك أننا كنا نرجو أجرًا من أبي الصبي، فكنا نقول: يتيم! وما عسى أن تصنع أمه وجده، فكنا نرفضه لذلك، فما بقيت امرأة قدمت معي إلا أخذت رضيعًا إلا أنا.

فلما أجمعنا الانطلاق قلت لزوجي: والله، إني لأكره أن أرجع من بين صواحبي ولم آخذ رضيعًا، والله لأذهبن إلى ذلك اليتيم فلآخذنه. قال: لا عليك أن تفعلي، عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة.

---

(١) وهو الحمار.







قالت: فذهبت إليه وأخذته، وما حملني على أخذه إلا أني لم أجد غيره، قالت: فلما أخذته رجعت به إلى رحلي:

١- فلما وضعته في حجري أقبل عليه ثدياي بما شاء من لبن، فشرب حتى روي، وشرب معه أخوه حتى روي، ثم ناما، وما كنا ننام معه قبل ذلك.

٢- وقام زوجي إلى شاتنا تلك، فإذا هي مملوءة باللبن، فحلب منها ما شرب وشربت معه حتى انتهينا ريا وشبعًا، فبتنا بخير ليلة، وقال زوجي حين أصبحنا: تعلمي والله يا حليمة، لقد أخذنا نسمة مباركة، قالت: فقلت له: والله إني لأرجو ذلك.

٣- ثم خرجنا وركبت أنا أتاني، وحملته عليها معي، فوالله لقطعت بالركب ما لا يقدر عليه شيء من حمرهم، حتى إن صواحبي ليقلن لي: يا حليمة، تمهلي علينا، أليست هذه أتانك التي كنت خرجت عليها؟ فأقول لهن: بلى والله، إنها لهي هي، فيقلن: والله إن لها لشأنًا.

٤- ثم قدمنا منازلنا من بلاد بني سعد، وما أعلم أرضًا من أرض الله أجدب منها، فكانت غنمي تروح علي حين قدمنا به معنا شباعًا كثيرة اللبن، فنحلب ونشرب، وما يحلب إنسان غيرنا قطرة







لبـن، حتى كان الحاضـرون من قومنـا يقولون لرعيانهـم: ويلكم، اسـرحوا حيث يسـرح راعي بنت حليمـة، فتروح أغنامهـم جياعًا ما تحلب قطرة لبن، وتروح غنمي شـباعًا لبنًا، فلم نزل نجد من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتاه وفطمته.

٥- وكان يشـب شـبابًا لا يشـبه الغلمان، فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلامًـا شـديدًا، قالـت: فقدمنا بـه على أمه ونحـن أحرص على مكثـه فينا، لما كنا نرى من بركته، فكلمنا أمه، وقلت لها: لو تركت ابنك عندي حتى يغلظ، فإني أخشى عليه وباء مكة، قالت: فلم نزل بها حتى ردته معنا.

S S S





حادثة شق الصدر

وهكذا رجع رسول الله ﷺ مع حليمة إلى بني سعد، وفي السنة الرابعة من مولده وقع حادث شق صدره، وهو أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه فشق عن قلبه، فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقة، فقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسل قلبه في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه، ثم أعاده إلى مكانه.

وجاء الغلمان يسعون إلى أمه حليمة فقالوا: إن محمدًا قد قتل، فلما عاد استقبلوه وهو متغير اللون، فحكي لها ما حدث له، فخشيت عليه حليمة بعد هذه الوقعة فردته إلى أمه.

فقد الأحبة:

فلما بلغ ﷺ ست سنين رأت أمه آمنة وفاء لذكرى زوجها الراحل أن تزور قبره بيثرب، فخرجت من مكة قاطعة رحلة تبلغ نحو خمسمائة كيلو متر، ومعها ولدها اليتيم محمد ﷺ وخادمتها أم أيمن، وجده عبد المطلب، فمكثت شهرًا ثم عادت، وبينما هي راجعة إذ لحقها المرض في أوائل الطريق، ثم اشتد حتى





ماتت بالأبواء بين مكة والمدينة، ودفنت هناك، فأصبح الحبيب بلا أب، ولا أم.

وعاد به جده عبد المطلب إلى مكة، وكانت مشاعر الحنو في فؤاده تزداد نحو حفيده اليتيم الذي أصيب بمصاب جديد بفقد أمه بعد أبيه، فرق عليه رقة لم يرقها على أحد من أولاده، فكان لا يدعه لوحدته المفروضة، بل يفضله على أولاده، فكان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة، فكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك حتى يخرج إليه، لا يجلس عليه أحد من بنيه إجلالًا له، فكان رسول الله ﷺ يأتي وهو غلام حتى يجلس عليه، فيأخذه أعمامه ليؤخروه عنه، فيقول عبد المطلب إذا رأي ذلك منهم: دعوا ابني هذا، فوالله إن له لشأنًا، ثم يجلس معه على فراشه، ويمسح ظهره بيده، ويسره ما يراه يصنع.

ولثماني سنوات وشهرين وعشرة أيام من عمره ﷺ توفي جده عبد المطلب بمكة، ورأى قبل وفاته أن يعهد بكفالة حفيده إلى عمه أبي طالب، فقد كان شقيق أبيه.

في رعاية عمه الحنون:

ونهض أبو طالب بحق ابن أخيه على أكمل وجه، وضمه إلى







أولاده، وقدمه عليهم، واختصه بفضل واحترام وتقدير، وظل فوق أربعين سنة يعز جانبه، ويبسط عليه حمايته، ويصادق ويخاصم من أجله.

ولم يكن له ﷺ عمل معين في أول شبابه، إلا أنه كان يرعى غنمًا، رعاها في بني سعد، وفي مكة لأهلها على قراريط، ويبدو أنه انتقل إلى عمل التجارة حين أصبح شابًا.

بَحِيرَى الراهب:

ولما بلغ رسول الله ﷺ اثنتي عشرة سنة ارتحل به أبو طالب تاجرًا إلى الشام، حتى وصل إلى بصرى، وهي معدودة من الشام، وكانت في ذلك الوقت حدودًا لبلاد العرب التي كانت تحت حكم الرومان.

وكان في هذا البلد راهب عرف ببحيرى، واسمه، فيما يقال: جرجيس، فلما نزل الركب خرج إليهم، وكان لا يخرج إليهم قبل ذلك، فجعل يمر بينهم حتى جاء فأخذ بيد رسول الله ﷺ وقال: هذا سيد العالمين، هذا رسول رب العالمين، هذا يبعثه الله رحمة للعالمين، فقال له أبو طالب: ما أعلمك بذلك؟ فقال: إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق حجر ولا شجر إلا خر ساجدًا،



ولا يسجدان إلا لنبي، وإني أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة، وإنا نجده في كتبنا.

ثـم أكرمهـم بالضيافة، ونصح أبا طالب أن يـرده، ولا يقدم به إلى الشام، خوفًا عليه من الروم واليهود، فبعثه عمه مع بعض غلمانه إلى مكة.

زواجه من السيدة خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

وفي الخامسـة والعشـرين من سـنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خرج تاجرًا إلى الشـام في مال خديجـة بنت خويلد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وكانـت خديجة بنت خويلـد امـرأة تاجرة ذات شـرف ومال، تسـتأجر الرجـال للتجارة في مالهـا، وكانـت قريـش قومًا تجـارًا، فلمـا بلغها عن رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مـا بلغها مـن صدق حديثه، وعظم أمانتـه وكرم أخلاقه بعثـت إليـه، فعرضـت عليه أن يخرج في مـال لها إلى الشـام تاجرًا، وتعطيـه أفضـل ما كانت تعطي غيره من التجـار، مع غلام لها يقال له: ميسـرة، فقبله رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منها، وخرج في مالها ذلك، وخرج معه غلامها ميسرة حتى قدم الشام.

ولمـا رجع إلى مكة، رأت خديجة في مالها من الأمانة والبركة مـا لم تره قبل هـذا، فأخبرها غلامها ميسـرة بما رأي فيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من صفات طيبة، وفكر راجح.






وكان السادات والرؤساء من قريش يحرصون على زواج خديجة فتأبى عليهم ذلك، لكنها وجدت في محمد خير زوج يعينها على عناء الحياة، فتحدثت بما في نفسها إلى صديقتها نفيسة بنت منبه، فذهبت نفيسة إليه ﷺ تفاتحه أن يتزوج خديجة، فرضى بذلك، وكلم أعمامه، فذهبوا إلى عم خديجة وخطبوها إليه، وتم الزواج، وحضر العقد بنو هاشم ورؤساء مضر، وذلك بعد رجوعه من الشام بشهرين.

وكانت سنها إذ ذاك أربعين سنة، وكانت يومئذ أفضل نساء قومها نسبًا وثروة وعقلًا، وهي أول امرأة تزوجها رسول الله ﷺ ولم يتزوج عليها غيرها حتى ماتت، وكل أولاده ﷺ منها سوى إبراهيم، وولدت له: القاسم ثم زينب، ثم رقية، ثم أم كلثوم، ثم فاطمة، ثم عبد الله، وكان عبد الله يلقب بالطيب والطاهر، ومات الأولاد كلهم في صغرهم، أما البنات فكلهن أدركن الإسلام فأسلمن وهاجرن، إلا أنهن أدركتهن الوفاة في حياته ﷺ سوى فاطمة رضي الله عنها فقد تأخرت بعده ستة أشهر ثم لحقت به.

رجاحة عقله ﷺ:

ولخمس وثلاثين سنة من مولده ﷺ قامت قريش



بنـاء الكعبة، وذلك لأن قبل بعثته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بخمس سـنين جرف مكة سيل شديد انحدر إلى البيت الحرام، فأوشكت الكعبة منه على الانهيـار، فاضطـرت قريش إلى تجديـد بنائها حرصًا عـلى مكانتها، واتفقـوا على ألا يدخلـوا في بنائها إلا طيبًا، فلا يدخلـون لا بيعًا ربًا ولا مظلمة أحد من الناس.

وكانوا يخافون هدمها، فابتدأ بها الوليد بن المغيرة المخزومي، فأخذ المعول وقال: والله ما نريد إلا الخير، ثم هدم ناحية الركنين، ولما لم يصبه شـيء من السـوء تبعه الناس في الهـدم في اليوم الثاني، ولم يزالوا في الهدم حتى وصلوا إلى قواعد إبراهيم.

ثـم لمـا أرادوا بناءهـا قسـموها، وخصصوا لكل قبيلـة جزءًا منهـا، فجمعت كل قبيلة حجارة على حـدة، وأخذوا يبنونها، وتولى البناء بناء رومي اسمه: باقوم.

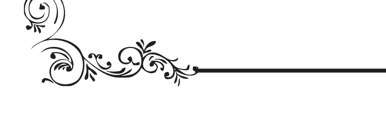
فلمـا بلغ البنيان موضع الحجر الأسـود اختلفـوا فيمن يمتاز بشـرف وضعه في مكانه، واسـتمر النزاع أربع ليال أو خمسًا، واشتد النـزاع حتـى كاد يتحول إلى حـرب عظيمـة في أرض الحرم، إلا أن أبا أمية بن المغيرة المخزومي عرض عليهم أن يحكموا فيما شجر بينهـم أول داخل عليهم من باب المسـجد، فارتضوا ذلك، وشـاء



الله أن يكون ذلك الداخل رسول الله ﷺ، فلما رأوه هتفوا: هذا الأمين، رضيناه، هذا محمد، فلما انتهى إليهم، وأخبروه الخبر طلب رداء، فوضع الحجر في وسط الرداء، وطلب من رؤساء القبائل المتنازعين أن يمسكوا جميعًا بأطراف الرداء، وأمرهم أن يرفعوه، حتى إذا أوصلوه إلى موضع الحجر أخذه بيده فوضعه في مكانه، وكان هذا الحل حكيمًا رضي به القوم.

وقصرت بقريش النفقة الطيبة، فأخرجوا من الجهة الشمالية نحوًا من ستة أذرع، وهي التي تسمى اليوم بالحجر، ورفعوا بابها من الأرض، لئلا يدخلها إلا من أرادوا، ولما بلغ البناء خمسة عشر ذراعًا، سقفوه على ستة أعمدة.

S S S





بدء الوحي

لما تقاربت سنه ﷺ الأربعين، وكانت تأملاته في الكون قد أبعدت بينه وبين قومه، وحبب إليه الخلوة، فكان يأخذ الخبز والماء، ويذهب إلى غار حراء في جبل النور، وهو غار لطيف طوله أربعة أذرع، وعرضه ذراع وثلاثة أرباع ذراع، فيقيم فيه شهر رمضان، ويقضي وقته في التأمل، والتفكير فيما حوله من مشاهد الكون ، وفيما وراءها من قدرة مبدعة، وهو غير مطمئن لما عليه قومه من عبادة الأصنام، والجهل والخرافة التي يعيشون عليها، ولكن ليس بين يديه طريق واضح، ولا منهج محدد، ولا طريق يطمئن إليه ويرضاه.

وكان اختياره ﷺ لهذه العزلة من تدبير الله له، وليكون انقطاعه عن أي شيء يشغله في الأرض، ومشكلات الحياة، وهموم الناس الصغيرة، التي تشغل الحياة، نقطة تحول لاستعداده لما ينتظره من الأمر العظيم، فيستعد لحمل الأمانة الكبرى، وحتى يتفرغ قلبه إلا من الانشغال بالله تعالى، دبر الله له هذه العزلة قبل تكليفه بالرسالة بثلاث سنوات، ينطلق في هذه العزلة شهرًا من الزمان.



ولما تكامل سنه أربعين سنة، بدأت علامات ومقدمات النبوة تظهر وتلمع، فمن ذلك أن حجرًا بمكة كان يسلم عليه كلما مر به، ومنها أنه كان يرى الرؤيا الصادقة، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، حتى مضى على ذلك ستة أشهر، فلما كان رمضان من السنة الثالثة من عزلته ﷺ بحراء شاء الله أن ينزل رحمته وهدايته على أهل الأرض، فأكرمه بالنبوة، وأنزل إليه جبريل بآيات من القرآن.

أول ما نزل من القرآن:

وكان ﷺ كعادته، يخلو بنفسه بغار حراء، يتعبد فيه الليالي ذوات العدد قبل أن يرجع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء.

ففي ليلة من تلك الليالي جاءه جبريل فقال له: اقرأ: قال: «ما أنا بقاريء»، قال: «فأخذني فغطني أي: ضمني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني» فقال: اقرأ، قلت: «ما أنا بقارئ» قال: «فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني» فقال: اقرأ، فقلت: «ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة، ثم أرسلني» فقال: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ





﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١-٥]، فرجع رسول الله ﷺ يرتعش من الخوف، فدخل على زوجته خديجة فقال: «**زملوني زملوني**»، فزملوه حتى ذهب عنه الخوف، فقال لخديجة: «**لقد خشيت على نفسي**»، فقالت خديجة: كلا، والله ما يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق.

فانطلقت به خديجة حتى أتت به ابن عمها ورقة بن نوفل وكان قد تنصر في الجاهلية وكان شيخًا كبيرًا أعمى، فقالت له خديجة: يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا ابن أخي، ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي أنزله الله على موسى، يا ليتني فيها جذعًا، ليتني أكون حيًا إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ: «**أو مخرجي هم؟**» قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا، ثم لم يزل ورقة أن توفي، وفتر الوحي.



وقد بقي رسول الله ﷺ في أيام الفترة كئيبًا حزينًا تأخذه الحيرة والدهشة.

ثم عاد ﷺ إلى غار حراء فمكث به شهرًا، ينتظر الوحي، فلما قضى شهره هبط، فلما وصل منتصف الوادي نودي، فنظر عن يمينه فلم ير شيئًا، ونظر عن شماله فلم ير شيئًا، ونظر أمامه فلم ير شيئًا، ونظر خلفه فلم ير شيئًا، فرفع رأسه فإذا الملك الذي جاءه بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، فجرى منه رعبًا حتى وصل إلى بيته، فأتى خديجة فقال: «زملوني زملوني، دثروني، وصبوا علي ماء باردًا»، فدثروه وصبوا عليه ماءً باردًا، فنزلت عليه: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ [المدثر: ١-٥]، ثم حمي الوحي بعد وتتابع.

وقام رسول الله ﷺ فظل قائمًا بعدها أكثر من عشرين عامًا، لم يسترح ولم يسكن، ولم يعش لنفسه ولا لأهله، إنما قام وظل قائمًا على الدعوة لدين الله، يحمل على كتفه عبء الدعوة، عبء البشرية كلها، عبء العقيدة كلها، وعبء الكفاح والجهاد في ميادين شتى، عاش في معاركه الدائبة المستمرة ـاكثر من عشرين





عامًا، لا يشغله شأن عن العمل لنشر الدعوة وإخراج الناس من الظلمات إلى النور.

فصلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين...

S S S



الدعوة إلى الله

المرحلة السرية في الدعوة

قام رسول الله ﷺ بعد نزول ما تقدم من آيات سورة المدثر، بالدعوة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وحيث إن قومه كانوا كفارًا لا دين لهم إلا عبادة الأصنام والأوثان، وذلك لأنهم وجدوا آباءهم يفعلون ذلك، فقد كان من الحكمة أمام ذلك أن تكون الدعوة في بدء أمرها سرية، لئلا يفاجئ أهل مكة بما يهيجهم ضده.

وكان من الطبيعي أن يعرض الرسول ﷺ الإسلام أولًا على أقرب الناس إليه من أهل بيته، وأصدقائه، فدعاهم إلى الإسلام، فكان أول ما دعا زوجته أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ومولاه زيد بن حارثة، وابن عمه علي بن أبي طالب، الذي كان صبيًا يعيش في رعاية الرسول ﷺ، وصديقه الحميم أبو بكر الصديق، فأسلم هؤلاء في أول يوم للدعوة.

ثم نشط أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الدعوة إلى الإسلام، وكان رجلًا طيبًا محببًا إلى الناس، ذا خلق ومعروف، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه، لعلمه وتجارته وحسن مجالسته، فجعل يدعو من يثق به من قومه ممن يأتيه ويجلس إليه، فأسلم بدعوته عثمان بن عفان،





والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيد الله. فكان هؤلاء النفر الثمانية الذين سبقوا الناس طليعة الإسلام.

ومرت ثلاثة أعوام، والدعوة لم تزل مقصورة على الأفراد، ولم يعلن بها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الجامع والنوادي، إلا أنها عرفت لدى قريش، وانتشر ذكر الإسلام بمكة، وتحدث به الناس، وقد تنكر له بعضهم أحيانًا، واعتدوا على بعض المؤمنين، إلا أنهم لم يهتموا به كثيرًا حيث لم يتعرض رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لدينهم، ولم يتكلم في آلهتهم.

S S S







الأمر بإظهار الدعوة

لما تكونت جماعة من المؤمنين تقوم على الأخوة والتعاون، وتتحمل عبء تبليغ الرسالة وتمكينها من مقامها، نزل الوحي يكلف رسول الله ﷺ بإعلان الدعوة، ومواجهة الباطل بالحسنى.

ولما تأكد النبي ﷺ من تعهد عمه أبي طالب بحمايته وهو يبلغ عن ربه، صعد النبي ﷺ ذات يوم على جبل الصفا، فصعد أعلاها حجرًا، ثم هتف: «يا صباحاه» وكانت كلمة إنذار تخبر عن هجوم جيش أو وقوع أمر عظيم.

ثم جعل ينادي قبائل قريش، ويدعوهم قبيلة قبيلة: «يا بني فهر، يا بني عدي، يا بني فلان، يا بني فلان، يا بني عبد مناف، يا بني عبد المطلب».

فلما سمعوا قالوا: من هذا الذي يهتف؟ قالوا: محمد. فأسرع الناس إليه، حتى إذا كان الرجل لم يستطع أن يخرج إليه أرسل رسولًا لينظر ما الأمر، فجاء أبو لهب وقريش.

فلما اجتمعوا قال: «**أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلًا بالوادي بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم، أكنتم مصدقي؟**».




قالوا: نعم، ما جربنا عليك كذبًا، ما جربنا عليك إلا صدقًا.

قال: «**إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، إنما مثلي ومثلكم كمثل رجل رأي العدو فانطلق يربأ أهله يخشى أن يسبقوه، فجعل ينادي: يا صباحاه**».

ثم دعاهم إلى الحق، وأنذرهم من عذاب الله، فخص وعم فقال: «**يا معشر قريش، اشتروا أنفسكم من الله، أنقذوا أنفسكم من النار، فإني لا أملك لكم من الله ضرًا ولا نفعًا، ولا أغني عنكم من الله شيئًا**».

يا بني كعب بن لؤي، أنقذوا أنفسكم من النار، فإني لا أملك لكم ضرًا ولا نفعًا.

يا بني مرة بن كعب، أنقذوا أنفسكم من النار، فإني لا أملك لكم ضرًاولا نفعًا.

يا معشر بني قصي، أنقذوا أنفسكم من النار، فإني لا أملك لكم ضرًا ولا نفعًا.

يا معشر بني عبد مناف، أنقذوا أنفسكم من النار، فإني لا أملك لكم من الله ضرًّا ولا نفعًا، ولا أغني عنكم من الله شيئًا.



يا بني عبد شمس، أنقذوا أنفسكم من النار.

يا بني هاشم، انقذوا أنفسكم من النار.

يا معشر بني عبد المطلب، أنقذوا أنفسكم من النار، فإني لا أملك لكم ضرًا ولا نفعًا، ولا أغني عنكم من الله شيئًا، سلوني من مالي ما شئتم، لا أملك لكم من الله شيئًا.

يا عباس بن عبد المطلب، لا أغني عنك من الله شيئًا.

يا صفية بنت عبد المطلب، لا أغني عنك من الله شيئًا.

يا فاطمة بنت محمد، سليني ما شئت من مالي، أنقذي نفسك من النار، فإني لا أملك لك ضرًا ولا نفعًا، ولا أغني عنك من الله شيئًا.

ولما تم هذا الإنذار انفض الناس وتفرقوا، ولم يصدر عنهم أي ردة فعل، سوى أن أبا لهب واجه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالسوء وقال: تبًا لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا؟ فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١].

ولم يزل هذا الصوت يتردد صداه في أرجاء مكة، حتى نزل قوله تعالى: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤]، فقام



رسـول الله ﷺ يجهـر بالدعـوة إلى الإسـلام في مجامـع المشركين ونواديهم، يتلو عليهم كتاب الله، وبدأ يعبد الله تَعَالَى أمام أعينهم، فكان يصلي بفناء الكعبة نهارًا أمام الناس جميعًا.

S S S



محاربة الدعوة

وخلال هذه الأيام شغل قريشًا أمر آخر، وذلك أن الجهر بالدعوة لم يمض عليه إلا أيام أو أشهر معدودة حتى قرب موسم الحج، وعرفت قريش أن وفود العرب ستقدم عليهم، فرأت أنه لا بد من كلمة يقولونها للعرب في شأن محمد ﷺ، حتى لا يكون لدعوته أثر في نفوس العرب، فاجتمعوا إلى الوليد بن المغيرة يتداولون في تلك الكلمة، فقال لهم الوليد: أجمعوا فيه رأيًا واحدًا، ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضًا، ويرد قولكم بعضه بعضًا.

قالوا: فأنت فقل، وأقم لنا رأيًا نقول به.

قال: بل أنتم فقولوا أسمع.

قالوا: نقول: كاهن.

قال: لا والله ما هو بكاهن، لقد رأينا الكهان فما هو بكلام الكاهن ولا سجعه.

قالوا: فنقول: مجنون.

قال: ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون وعرفناه، ما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته.







قالوا: فنقول: شاعر.

قال: ما هو بشاعر، لقد عرفنا الشعر كله، فما هو بالشعر.

قالوا: فنقول: ساحر.

قال: ما هو بساحر، لقد رأينا السحرة وسحرهم، فما هو بعلمهم.

قالوا: فما نقول؟

قال: والله وما أنتم بقائلين من هذا شيئًا إلا عرف أنه باطل، وإن أقرب القول فيه لأن تقولوا: ساحر. جاء بقول هو سحر، يفرق به بين المرء وأبيه، وبين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجته، وبين المرء وعشيرته، فتفرقوا عنه بذلك.

السخرية والتكذيب:

وقد أكثر مشركو مكة من السخرية والاستهزاء من رسول الله ﷺ وأصحابه، وزادوا من الطعن والسخرية شيئًا فشيئًا، حتى أثر ذلك في نفس رسول الله ﷺ، ثم ثبته الله وأمره بما يذهب به هذا الضيق، فقال: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٨-٩٩]، وقد أخبره من قبل أنه سُبْحَانَهُ كافيه شر هؤلاء المستهزئين.





وكان المشركون بجانب إثارة هذه الشبهات، يمنعون الناس من سماعهم القرآن ودعوة الإسلام بكل طريق ممكن، فكانوا يطردون الناس ويثيرون الشغب والضوضاء ويتغنون ويلعبون، إذا رأوا أن النبي ﷺ يتهيأ للدعوة، أو إذا رأوه يصلي أو يتلو القرآن، حتى إن النبي ﷺ لم يتمكن من تلاوة القرآن عليهم في مجامعهم ونواديهم إلا في أواخر السنة الخامسة من النبوة، وذلك أيضًا عن طريق المفاجأة، دون أن يشعروا بقصده قبل بداية التلاوة.

تعذيب المؤمنين:

وكان أبو جهل إذا سمع برجل قد أسلم له شرف ومكانة أنبه ولامه، وتوعده بإيقاع الخسارة الفادحة في ماله، وإن كان ضعيفًا ضربه وأغرى به السفهاء.

وكان عم عثمان بن عفان يلفه في حصير من ورق النخيل ثم يدخنه من تحته.

ولما علمت أم مصعب بن عمير بإسلامه منعته الطعام والشراب، وأخرجته من بيته، وكان من أنعم الناس عيشًا، فخشن جلده، ونحل جسده من ضيق العيش.





وكان صهيب بن سنان الرومي يعذب حتى يفقد وعيه ولا يدرى ما يقول.

وكان بلال مولى أمية بن خلف الجمحي، فكان أمية يضع في عنقه حبلًا، ثم يسلمه إلى الصبيان، يطوفون به في جبال مكة، ويجرونه حتى كان الحبل يؤثر في عنقه، وهو يقول: أحد أحد، وكان أمية يشده شدًا ثم يضربه بالعصا، ويلجئه إلى الجلوس في حر الشمس، كما كان يكرهه على الجوع.

وأشد من ذلك كله أنه كان يخرجه إذا حميت الظهيرة، فيطرحه على ظهره على الرمال الساخنة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره، ثم يقول: لا والله لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد، وتعبد اللات والعزى. فيقول بلال وهو في تلك الحال: أحد، أحد، وقال: لو أعلم كلمة هي أغيظ لكم منها لقلتها.

ومر أبو بكر يومًا ببلال وهم يصنعون ذلك به، فاشتراه منهم بسبع أواق من الفضة، وأعتقه.

وكان عمار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مولى لبني مخزوم، أسلم هو وأبوه وأمه، فكان المشركون وعلى رأسهم أبو جهل يخرجونهم إلى الصحراء إذا حميت الشمس فيعذبونهم بحرها. ومر بهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهم



يعذبون فقال: «**صبرًا آل ياسر، فإن موعدكم الجنة**»، فمات ياسر في العذاب، وطعن أبو جهل سمية أم عمار فماتت، وهي أول شهيدة في الإسلام، وكانت عجوزًا كبيرة ضعيفة.

وشددوا العذاب على عمار بالحر تارة، وبوضع الصخر الأحمر على صدره تارة أخرى، وبغطه في الماء حتى كان يفقد وعيه، وقالوا له: لا نتركك حتى تسب محمدًا، وتقول في اللات والعزى خيرًا، فوافقهم على ذلك مكرها، وجاء باكيًا معتذرًا إلى النبي ﷺ فأنزل الله: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦].

واشترى أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ هؤلاء الإماء والعبيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُم فأعتقهم جميعًا.

وقد عاتبه في ذلك أبوه أبو قحافة وقال: أراك تعتق رقابًا ضعافًا، فلو أعتقت رجالًا أشداء لنفعوك. قال: إني أريد وجه الله. فأنزل الله قرآنًا مدح فيه أبا بكر.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى ١٧ ٱلَّذِي يُؤۡتِي مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ١٨ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ١٩ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٢٠ وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ﴾ [الليل: ١٧-٢١].

وهو أبو بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.





وفد قريش إلى أبي طالب:

مشى رجال من أشراف قريش إلى أبي طالب، فقالوا: يا أبا طالب، إن ابن أخيك قد سب آلهتنا، وعاب ديننا، وسفه عقولنا، وضلل آباءنا، فإما أن تكفه عنا، وإما أن تخلي بيننا وبينه، فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه، فقال لهم أبو طالب قولًا رقيقًا وردهم ردًا جميلًا، فانصرفوا عنه، ومضى رسول الله ﷺ على ما هو عليه، يظهر دين الله ويدعو إليه، ولكن قريشًا لم تصبر طويلًا حين رأته ﷺ ماضيًا في عمله ودعوته إلى الله، بل أكثرت ذكره وتآمرت عليه، حتى قررت مراجعة أبي طالب بأسلوب أغلظ وأقسى من السابق.

سادات قريش يهددون أبا طالب:

وجاءت سادات قريش إلى أبي طالب فقالوا له: يا أبا طالب، إن لك سنًا وشرفًا ومنزلة فينا، وإنا قد طلبنا منك أن تنهى ابن أخيك، فلم تنهه عنا، وإنا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وعيب آلهتنا، حتى تكفه عنا، أو ننازله وإياك في ذلك، حتى يهلك أحد الفريقين.






فعظم على أبي طالب هذا الوعيد والتهديد الشديد، فبعث إلى رسول الله ﷺ وقال له: يا ابن أخي، إن قومك قد جاءوني، فقالوا لي كذا وكذا، فأبق علي وعلى نفسك، ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق، فظن رسول الله ﷺ أن عمه خذله، وأنه ضعف عن نصرته، فقال: «**يا عم، والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري، على أن أترك هذا الأمر، حتى يظهره الله أو أهلك فيه، ما تركته**»، ثم دمعت عيناه وبكى، وقام، فلما ولى ناداه أبو طالب، فلما أقبل قال له: اذهب يا ابن أخي، فقل ما أحببت، فوالله لا أسلمك لشيء أبدًا.

ولما رأت قريش أن رسول الله ﷺ ماضٍ في دعوته، عرفت أن أبا طالب قد رفض أن يتخلى عنه، وأنه مجمع لفراقهم وعداوتهم في ذلك، فذهبوا إليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة، وقالوا له: يا أبا طالب، إن هذا الفتى أشد فتى في قريش وأجملهم، فخذه فلك عقله ونصره، واتخذه ولدًا فهو لك، وأسلم إلينا ابن أخيك، هذا الذي خالف دينك ودين آبائك، وفرق جماعة قومك، وسفه أحلامهم، فنقتله، فإنما هو رجل برجل.

فقال: والله لبئس ما تساومونني، أتعطوني ابنكم أكرمه لكم، وأعطيكم ابني تقتلونه؟ هذا والله ما لا يكون أبدًا.



فقال المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف: والله يا أبا طالب لقد أنصفك قومك، وجهدوا على التخلص مما تكره، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئًا. فكان هذا رفضًا صريحًا من أبي طالب لكل عروض قريش.

ولما فشلت قريش في هذه المفاوضات، ولم توفق في إقناع أبي طالب يمنع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكفه عن الدعوة إلى الله، قررت أن تختار سبيلًا قد حاولت تجنبه والابتعاد منه مخافة عاقبته وما يؤدي إليه، وهو سبيل الاعتداء على ذات الرسول صلى الله عليه وسلم.

الاعتداء على رسول الله صلى الله عليه وسلم:

وازداد الأذى حتى وصل إلى أنهم اعتدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووصل بهم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي عند البيت، وأبو جهل وأصحاب له جلوس هناك فقال بعضهم لبعض: أيكم يجيء بسلا جزور بني فلان فيضعه على ظهر محمد إذا سجد، فانبعث أشقى القوم وهو عقبة بن أبي معيط فجاء بالسلا، فنظر حتى إذا سجد النبي صلى الله عليه وسلم وضعه على ظهره بين كتفيه، فجعلوا يضحكون، ويميل بعضهم على بعض من المرح والسخرية، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساجد، لا يرفع رأسه، حتى جاءته فاطمة، فطرحته عن ظهره.






فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه، ثم قال: اللهم عليك بقريش ثلاث مرات، فشق ذلك عليهم إذ دعا عليهم، وكانوا يرون أن الدعوة في ذلك البلد مستجابة، ثم سمي: «اللهم عليك بأبي جهل، وعليك بعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط». وبالفعل قتل هؤلاء جميعًا يوم بدر، كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

ولم يفق أبو جهل ورفاقه من غباوتهم وجهالتهم بعد هذا الدعاء عليهم، بل ازدادوا شقاوة فيما بعد. قال أبو جهل: يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ فقيل: نعم، فقال: واللات والعزى، لئن رأيته لأطأن على رقبته، ولأعفرن وجهه بالتراب.

فأتى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي، ليطأ رقبته، فما عاد إليهم إلا وهو يجرى خائفًا، ويدافع بيديه عن نفسه، فقالوا: ما لك يا أبا الحكم؟ قال: إن بيني وبينه لخندقًا من نار وهولًا وأجنحة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوًا عضوًا**».

وكان يجب في هذه الظروف المتأزمة أن يتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم موقفًا حازمًا ينقذ به المسلمين مما أصابهم من البلاء،



ويخفف وطأته بقدر المستطاع، وقد اتخذ رسول الله ﷺ خطوتين حكيمتين كان لهما أثرهما في تسيير الدعوة وتحقيق الهدف، وهما:

١- دار الأرقم:

كانت هذه الدار في أصل الصفا، بعيدة عن أعين الطغاة ومجالسهم، فاختارها رسول الله ﷺ ليجتمع فيها بالمسلمين سرًّا، فيتلو عليهم آيات الله ويعلمهم أمور الدين، وليؤدي المسلمون عبادتهم وأعمالهم، ويتلقوا ما أنزل الله على رسوله وهم في أمن وسلام، وليدخل من يدخل في الإسلام ولا يعلم به الطغاة من أعداء الإسلام.

ومعلوم أن النزاع لو طال لأدى إلى تدمير المسلمين والقضاء عليهم، فكان من الحكمة السرية والاختفاء، فكان عامة الصحابة يخفون إسلامهم وعبادتهم واجتماعهم، أما رسول الله ﷺ فكان يجهر بالدعوة والعبادة بين المشركين، لا يصرفه عن ذلك شيء، ولكن كان يجتمع مع المسلمين سرًّا، نظرًا لصالحهم وصالح الإسلام.





٢- الهجرة الأولى إلى الحبشة:

ولما اشتد الأذى بالمسلمين، رأى رسول الله ﷺ أن يبعدهم عن أيدي المشركين في مكة، وكان رسول الله ﷺ قد علم أن النجاشي ملك الحبشة ملك عادل، لا يظلم عنده أحد، فأمر المسلمين أن يهاجروا إلى الحبشة فرارًا بدينهم من الفتن.

وفي السنة الخامسة من البعثة، هاجر أول فوج من المسلمين إلى الحبشة، وكان مكونًا من اثنى عشر رجلًا وأربع نساء، وفي مقدمة هؤلاء عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت رسول الله ﷺ فخرجوا متسللين في ظلمة الليل، ويسر الله لهم الأمر، فلما تنبهت لهم قريش خرجت في أثرهم، لكن لما بلغت إلى الشاطئ كانوا قد انطلقوا آمنين، وأقام المسلمون في الحبشة في أحسن جوار.

عودة المهاجرين من الحبشة:

وفي رمضان من نفس السنة خرج النبي ﷺ إلى الحرم، وفيه جمع كبير من قريش، فيهم ساداتهم وكبراؤهم، فقام فيهم، وفاجأهم بتلاوة سورة النجم، ولم يكن أولئك الكفار سمعوا كلام الله من قبل، لأنهم كانوا مستمرين على ما تواصى به بعضهم بعضًا، من عدم سماع القرآن، والابتعاد عن سماعه من النبي ﷺ



فلما فاجأهم بتلاوة هذه السورة، وقرع آذانهم كلام إلهي جذاب، وكان أروع كلام سمعوه قط، أخذ مشاعرهم، ونسوا ما كانوا فيه، فما من أحد إلا وهو مصغ إليه، لا يخطر بباله شيء سواه، حتى إذا تلا في خواتيم هذه السورة آيات تطير لها القلوب، ثم قرأ: ﴿فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟﴾ [النجم: ٦٢]. ثم سجد، فلم يتمالك أحد نفسه حتى خر ساجدًا.

وفي الحقيقة كانت روعة الحق قد أحرقت العناد في نفوس المستكبرين والمستهزئين، فما تمالكوا إلا أن يخروا لله ساجدين.

وبلغ هذا الخبر مهاجري الحبشة، ولكن في صورة تختلف تمامًا عن صورته الحقيقية، فبلغهم أن قريشًا أسلمت، فرجعوا إلى مكة، فلما كانوا دون مكة ساعة من نهار عرفوا حقيقة الأمر، فرجع منهم من رجع إلى الحبشة، ولم يدخل في مكة من سائرهم أحد إلا مستخفيًا، أو في جوار رجل من قريش.

ثم اشتد عليهم وعلى المسلمين البلاء والعذاب من قريش، وقست عليهم عشائرهم، فقد كان صعبًا على قريش ما بلغها عن النجاشي من حسن الجوار، ولم ير رسول الله ﷺ بدًّا من أن يشير على أصحابه بالهجرة إلى الحبشة مرة أخرى.







الهجرة الثانية إلى الحبشة:

واستعد المسلمون للهجرة مرة أخرى، وعلى نطاق أوسع، ولكن كانت هذه الهجرة الثانية أشق من سابقتها، فقد تيقظت لها قريش وقررت إفشالها، ولكن المسلمين كانوا أسرع، ويسر الله لهم السفر، فانحازوا إلى نجاشي الحبشة قبل أن يدركوا.

وفي هذه المرة هاجر من الرجال ثلاثة وثمانون رجلًا، وثماني عشرة أو تسع عشرة امرأة.

S S S



عام الحزن

وفاة أبي طالب:

ألح المرض بأبي طالب، فلم يلبث أن مات، وكانت وفاته في رجب سنة عشر من النبوة، بعد الخروج من الشعب بستة أشهر.

لما حضرت أبا طالب الوفاة، دخل عليه النبي ﷺ وعنده أبو جهل، فقال: «**أي عم، لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله**»، فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب، ترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزالا يكلمانه حتى قال آخر شيء كلمهم به: على ملة عبد المطلب فقال النبي ﷺ: «**لأستغفرن لك ما لم أنه عنه**»، فنزلت: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣]، ونزلت: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦].

وفاة خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

وبعد وفاة أبي طالب، توفيت أم المؤمنين خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وكانت وفاتها في شهر رمضان في السنة العاشرة من النبوة، ولها







خمس وستون سنة، ورسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذ ذاك في الخمسين من عمره.

كانت خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا من نعم الله العظيمة على رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بقيت معه ربع قرن تحن عليه ساعة قلقه، وتساعده في أحرج أوقاته، وتعينه على إبلاغ رسالته، وتشاركه في مصاعب الجهاد المر، وتساعده بنفسها ومالها، يقول رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنها: «**آمنت بي حين كفر بي الناس، وصدقتني حين كذبني الناس، وأشركتني في مالها حين حرمني الناس، ورزقني الله ولدها وحرمت ولد غيرها**».

تراكم الأحزان:

وقعت هاتان الحادثتان المؤلمتان خلال أيام معدودة، فاهتزت مشاعر الحزن والألم في قلب رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم لم تزل تتوالى عليه المصائب من قومه، فإنهم تجرأوا عليه وتوعدوه بالأذى بعد موت أبي طالب، فازداد غمًا على غم، حتى يئس منهم، وخرج إلى الطائف رجاء أن يستجيبوا لدعوته، أو ينصروه على قومه.

S S S





الإسراء والمعراج

وبينما النبي ﷺ يمر بهذه المرحلة الصعبة، والدعوة تشق طريقها بين النجاح والمقاومة، وبدأت ملامح الأمل تظهر في الأفق، وقع حادث الإسراء والمعراج.

أسري برسول الله ﷺ من المسجد الحرام إلى بيت المقدس، راكبًا على البراق، بصحبة جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ فنزل هناك، وصلى بالأنبياء إمامًا، وربط البراق بحلقة باب المسجد.

ثم عرج به تلك الليلة من بيت المقدس إلى السماء الدنيا، فاستفتح له جبريل ففتح له، فرأى هنالك آدم أبا البشر، فسلم عليه، فرحب به ورد عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأقر بنبوته، وأراه الله أرواح السعداء عن يمينه، وأرواح الأشقياء عن يساره.

ثم عرج به إلى السماء الثانية، فاستفتح له، فرأى فيها يحيي بن زكريا وعيسى ابن مريم عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، فلقيهما وسلم عليهما، فردا عليه ورحبا به، وأقرّا بنبوته.

ثم عرج به إلى السماء الثالثة، فرأى فيها يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، فسلم عليه فرد عليه ورحب به، وأقر بنبوته.





ثـم عرج بـه إلى السـماء الرابعة، فرأى فيهـا إدريس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فسلم عليه، فرد عليه، ورحب به، وأقر بنبوته.

ثم عرج به إلى السـماء الخامسة، فرأى فيها هارون بن عمران عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فسلم عليه، فرد عليه ورحب به، وأقر بنبوته.

ثم عرج به إلى السـماء السادسـة، فلقى فيها موسى بن عمران عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فسلم عليه، فرد عليه ورحب به، وأقر بنبوته.

فلمـا جاوزه بكى موسـى، فقيل له: ما يبكيـك؟ فقال: أبكي، لأن غلامًـا بعث من بعدي يدخل الجنـة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي.

ثم عرج به إلى السـماء السـابعة، فلقي فيهـا إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فسلم عليه، فرد عليه، ورحب به، وأقر بنبوته.

ثم رفع إلى سـدرة المنتهى، فما أحد من خلق الله يسـتطيع أن يصفها من حسنها.

ثـم رفع لـه البيت المعمـور، وإذا هو يدخله كل يوم سـبعون ألف ملك ثم لا يعودون.

ثم أدخل الجنة، فإذا فيها حبائل اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك.





وعرج به حتى ظهر لمستوى يسمع فيه صريف الأقلام.

ثم عرج به إلى الجبار جل شأنه، فدنا منه حتى كان قاب قوسين أو أدنى، فأوحى إلى عبده ما أوحى، وفرض عليه خمسين صلاة، فرجع حتى مر على موسى فقال له: بم أمرك ربك؟ قال: «بخمسين صلاة» قال: إن أمتك لا تطيق ذلك، ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك، فالتفت إلى جبريل، كأنه يستشيره في ذلك، فأشار: أن نعم إن شئت، فعلا به جبريل حتى أتى به الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فوضع عنه عشرًا، ثم أنزل حتى مر بموسى، فأخبره، فقال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فلم يزل يتردد بين موسى وبين الله تَعَالَىٰ، حتى جعلها خمسًا، فأمره موسى بالرجوع وسؤال التخفيف، فقال: «قد استحييت من ربي، ولكنني أرضى وأسلم»، فلما بعد نادى مناد: قد أمضيت فريضتي، وخففت عن عبادي.

ورأى قافلة من أهل مكة في الإياب والذهاب، وقد دلهم على بعير ضاع منهم، وشرب ماءهم من إناء مغطى وهم نائمون، ثم ترك الإناء مغطى، وقد صار ذلك دليلًا على صدق دعواه في صباح ليلة الإسراء.

فلما أصبح رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قومه أخبرهم بما أراه الله






عَزَّوَجَلَّ من آياته الكبرى، فاشتد تكذيبهم له وأذاهم عليه، وسألوه أن يصف لهم بيت المقدس، فأظهره الله له، حتى عاينه، فظل يخبرهم عن أوصافه، ولا يستطيعون أن يردوا عليه شيئًا، وأخبرهم عن قافلتهم في مسراه ورجوعه، وأخبرهم عن وقت قدومها، وأخبرهم عن البعير الذي ضل منهم، وكان الأمر كما قال، فلم يزدهم ذلك إلا كفرًا، وأبي الظالمون إلا كفورًا.

يقال: سمى أبو بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ الصديق، لتصديقه هذه الوقعة حين كذبها الناس.

S S S



بدايات الهجرة

وبعد أن تمت بيعة العقبة الثانية ونجح الإسلام في تأسيس وطن له وسط صحراء تموج بالكفر والجهالة، وهو أعظم كسب حصل عليه الإسلام منذ بداية دعوته، أذن رسول الله ﷺ للمسلمين بالهجرة إلى هذا الوطن الجديد.

كان من أول المهاجرين أبو سلمة وزوجته وابنه، لكن قوم أم سلمة منعوها وابنها من الهجرة، فهاجر أبو سلمة وحده.

وهاجر صهيب بن سنان الرومي بعد رسول الله ﷺ، فلما أراد الهجرة قال له كفار قريش: أتيتنا صعلوكًا حقيرًا، فكثر مالك عندنا، وبلغت الذي بلغت، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك؟ والله لا يكون ذلك. فترك لهم كل ما يملك مقابل أن يتركوه يهاجر، فقال له رسول الله ﷺ: «**ربح البيع أبا يحيى**».

وتواعد عمر بن الخطاب، وعياش بن أبي ربيعة، وهشام ابن العاص بن وائل في موضع يصبحون عنده، ثم يهاجرون إلى المدينة، فاجتمع عمر وعياش، وحبس عنهما هشام.





تآمر المشركين على قتل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

ولما رأى المشركون أن أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد تجهزوا وخرجوا، وحملوا وساقوا النساء والأطفال والأموال إلى الأوس والخزرج، أصابتهم الكآبة والحزن، وأصابهم القلق والهم بشكل لم يسبق له مثيل، فقد ظهر أمامهم خطر حقيقي عظيم، أخذ يهدد دينهم وآلهتهم.

وبعد شهرين ونصف تقريبًا من بيعة العقبة الكبرى، عقد اجتماع بدار الندوة في أوائل النهار وكان أخطر اجتماع، وحضر إلى هذا الاجتماع جميع نواب القبائل القرشية، ليناقشوا خطة حاسمة للقضاء سريعًا على صاحب الدعوة الإسلامية، وإطفاء نورها عن الوجود نهائيًا.

ولما جاءوا إلى دار الندوة حسب الميعاد، اعترضهم إبليس في هيئة شيخ جليل، عليه هيبة، ووقف على الباب، فقالوا: من الشيخ؟ قال: شيخ من أهل نجد سمع بالذي أعددتم له فحضر معكم ليسمع ما تقولون، وعسى أن يعينكم بالرأي والنصح. قالوا: أجل، فادخل، فدخل معهم، وبدأ عرض الاقتراحات والحلول من الوفود الموجودة، ودار النقاش طويلًا.







قـال أبو الأسـود: نخرجـه من بيـن أظهرنا وننفيه مـن بلادنا، ولا نبـالي أين ذهب، ولا حيث وقـع، فقد أصلحنا أمرنا وألفتنا كما كانت، فرفضوا اقتراحه.

قـال أبو البختري: احبسـوه في الحديد وأغلقوا عليـه بابًا، ثم تربصوا به ما أصاب أمثاله من الشعراء الذين كانوا قبله ومن مضى منهم، من هذا الموت، حتى يصيبه ما أصابهم، فرفضوا أيضًا.

وبعـد أن رفض الجميع هذين الاقتراحيـن، قدم إليهم إبليس اقتراحًا آثمًا، وافق عليه جميع من حضر، والذي تقدم به كبير مجرمي مكة أبو جهل بن هشام.

قـال أبو جهـل: والله إن لي فيه رأيًا ما أراكـم وقعتم عليه بعد. قالـوا: ومـا هو يا أبـا الحكم؟ قال: أرى أن نأخذ مـن كل قبيلة فتى شـابًا جلدًا شـديدًا فينـا، ثم نعطي كل فتـى منهم سـيفًا صارمًا، ثم يعمـدوا إليـه، فيضربـوه بها ضربة رجـل واحد، فيقتلوه، فنسـتريح منـه، فإنهـم إذا فعلـوا ذلك تفـرق دمـه في القبائل جميعًـا، فلم يقدر بنو عبد مناف عـلى حرب قومهم جميعًا، فرضوا منا بالفدية، ففديناه لهم.






قال الشـيخ النجدي إبليس: القول مـا قال الرجل، هذا الرأي الذي لا أرى غيره.

ووافـق المجتمعون على هذا الاقتـراح الآثم بالإجماع، ورجع النواب إلى بيوتهم وقد صمموا على تنفيذ هذا القرار فورًا.

S S S



هجرة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

حاولت قريش أن تخفي هذا الاجتماع، وما توصلوا إليه من نتائج، حتى تكون المفاجأة للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولكن الله خيب أملهم، فقد نزل جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بوحي من ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فأخبره بمؤامرة قريش، وأن الله قد أذن له في الخروج، وحدد له وقت الهجرة، وبين له خطة الرد على قريش، فقال: لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه.

وذهب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الظهيرة حين يستريح الناس في بيوتهم إلى بيت أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ليتفق معه على مراحل الهجرة.

فبينما كانوا جلوسًا في بيت أبي بكر في حرّ الظهيرة، حضر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ متقنعًا، في ساعة لم يكن يأتيهم فيها، فقال أبو بكر: فداء له أبي وأمي، والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر، فجاء رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاستأذن، فأذن له أبو بكر فدخل، فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأبي بكر: «**أخرج من عندك**» فقال أبو بكر: إنما هم أهلك، بأبي أنت يا رسول الله. قال: «**فإني قد أذن لي في**





الخروج» فقال أبو بكر: الصحبة بأبي يا رسـول الله؟ قال رسول الله ﷺ: «نعم». فبكى أبو بكر رضي الله عنه من شدة الفرح.

ثم عقـد معه خطة الهجرة، ورجع إلى بيته ينتظر مجيء الليل، وقد استمر في أعماله اليومية حسب المعتاد حتى لا يشعر أحد بأنه يستعد للهجرة، أو لأي أمر آخر، حتى لا تدري قريش.

المجرمون حول بيت النبي ﷺ:

أما مجرمو قريش فقضوا نهارهم في الإعداد سرًا لتنفيذ الخطة المرسومة التي اتفق عليها كفار مكة صباحًا، واختير لذلك أحدهم رئيسًا من هؤلاء المجرمين.

وكان مـن عـادة رسـول الله ﷺ أن ينـام في أوائل الليل بعـد صلاة العشـاء، ويخرج بعد نصف الليل إلى المسـجد الحرام، يصـلي فيه قيام الليل، فأمر علي بن أبي طالب رضي الله عنه تلك الليلة أن يضطجع على فراشه، ويتغطى بردائه الأخضر، وأخبره أنه لا يصيبه مكروه.

فلما كانت عتمة من الليل وساد الهدوء، ونام عامة الناس جاء المجرمون إلى بيته ﷺ سـرًا، واجتمعـوا على بابه يرصدونه،





وهـم يظنونه نائمًا حتى إذا قـام وخرج وثبوا عليه، ونفذوا ما قرروا فيه.

وقد كان ميعاد تنفيذ تلك المؤامرة بعد منتصف الليل في وقت خروجه ﷺ من بيته، فباتوا متيقظين ينتظرون ساعة التنفيذ، ولكن الله غالب على أمره، بيده ملكوت السموات والأرض، يفعل مـا يشـاء، فقد فعل بهم مـا خاطب به الرسـول ﷺ فيما بعد فقال تعالى:

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

الرسول ﷺ يغادر بين أيديهم:

وقـد فشـلت قريش في خطتهم مـع كل ما اتخـذوه من التيقظ والتنبـه، إذ خـرج رسـول الله ﷺ مـن البيـت، واخترق صفوفهـم، وأخذ حفنة من الرمال فجعل يلقيه على رءوسـهم، وقد أخذ الله أبصارهم عنه فلا يرونه، وهو يتلو قوله تعالى:

﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس: ٩].





فلم يبق منهم رجل إلا وقد وضع على رأسه ترابًا، ومضى إلى بيت أبي بكر، فخرجا من دار أبي بكر ليلًا حتى وصلا إلى غار ثور في اتجاه اليمن.

وبقى المحاصرون ينتظرون حلول ساعة الخروج، وقبيل حلولها ظهرت لهم الخيبة والفشل، فقد جاءهم رجل ممن لم يكن معهم، ورآهم ببابه فقال: ما تنتظرون؟ قالوا: محمدًا. قال: خبتم وخسرتم، والله قد مر بكم، وذر على رءوسكم التراب، وانطلق لحاجته، قالوا: والله ما أبصرناه، وقاموا ينفضون التراب عن رءوسهم.

ولما نظروا من الباب رأوا عليًا، فقالوا: والله إن هذا لمحمد نائمًا، عليه بردة، فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا. وقام علي عن الفراش، فسقط في أيديهم، وسألوه عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: لا علم لي به.

في غار ثور:

غادر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيته، وأتى إلى دار رفيقه أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثم غادر منزل الأخ من باب خلفي، ليخرجا من مكة مسرعين، وقبل أن يطلع الفجر.





ولما كان النبي ﷺ يعلم أن قريشًا ستجد في الطلب، وأن الطريق الذي ستتجه إليه الأنظار لأول لحظة هو طريق المدينة الرئيسي المتجه شمالًا، فسلك الطريق الذي يعاكسه تمامًا، وهو الطريق الواقع جنوب مكة، والمتجه نحو اليمن، سلك هذا الطريق نحو خمسة أميال حتى بلغ إلى جبل يعرف بجبل ثور، وهو جبل شامخ، وعر الطريق، صعب الصعود، ذو أحجار كثيرة، فتحامل على نفسه هو وأبو بكر حتى بلغ الجبل، وظل يشتد حتى انتهى إلى غار في قمة الجبل عرف بغار ثور.

وقد وصل المطاردون إلى باب الغار، ولكن الله غالب على أمره، وكان أبو بكر والنبي ﷺ في الغار، فرفع أبو بكر رأسه فإذا هو يرى أقدام القوم، فقال: يا نبي الله، لو أن بعضهم نظر تحت قدميه لرآنا، قال ﷺ: «**ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما**».

وقد كانت معجزة أكرم الله بها نبيه ﷺ فقد رجع المطاردون حين لم يبق بينه وبينهم إلا خطوات معدودة، فأعجزهم الله تَعَالَىٰ أن يروه.





في الطريق إلى المدينة:

حين هدأت ثورة البحث والطلب، وتوقفت أعمال التفتيش، وهـدأت ثائرة قريش بعد اسـتمرار المطاردة الحثيثة ثلاثة أيام دون جدوى، تهيأ رسول الله ﷺ وصاحبه للخروج إلى المدينة.

وكانـا قد اسـتأجرا عبد الله بـن أريقط، وكان ماهـرًا بالطريق، وكان على دين كفار قريش، وأمناه على ذلك، وسلما إليه راحلتيهما، وواعـداه غار ثـور بعد ثـلاث ليـال براحلتيهما، فلما كانـت الليلة ارتحـل رسـول الله ﷺ وأبـو بكر رضي الله عنه وأخذهـم الدليل عبد الله بن أريقط على طريق السواحل.

وأول ما سـلك بهـم بعد الخروج من الغار أنـه أمعن في اتجاه الجنـوب نحو اليمـن، ثم اتجه غربًا نحو السـاحل، حتى إذا وصل إلى طريق لم يعتده الناس، اتجه شـمالًا على مقربة من شـاطئ البحر الأحمر، وسلك طريقًا لم يكن يسلكه أحد إلا نادرًا.

وصولهم قباء:

سـمع المسـلمون بالمدينة بخروج رسول الله ﷺ من مكـة، فكانوا يخرجون كل يـوم إلى الحـرة، فينتظرونه حتى يردهم



حر الظهيرة، فانقلبوا يومًا بعد ما أطالوا انتظارهم، فلما أووا إلى بيوتهم خرج رجل من يهود لأمر ينظر إليه، فبصر برسول الله ﷺ وصاحبه بثيابهم البيض متجهين نحوهم، فلم يملك اليهودي نفسه إلا أن قال بأعلى صوته: يا معاشر العرب، هذا نبيكم الذي تنتظرون، فثار المسلمون إلى قباء، وتلقوا رسول الله ﷺ بظهر الحرة.

وسمع التكبير في بني عمرو بن عوف، وكبر المسلمون فرحًا بقدومه، وخرجوا للقائه، فتلقوه وحيوه بتحية النبوة، فالتقوا به يطوفون حوله، والسكينة تغطيه، والوحي ينزل عليه.

وكانت المدينة كلها قد زحفت للاستقبال، وكان يومًا مشهودًا لم تشهد المدينة مثله في تاريخها، وقد رأى اليهود صدق بشارة التوراة عندهم بمجيء النبي ﷺ.

ومكث علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بمكة ثلاثًا، حتى أدى عن رسول الله ﷺ الودائع التي كانت عنده للناس، ثم هاجر ماشيًا على قدميه حتى لحقهما بقباء، ونزل على كلثوم بن الهدم.





أقام رسول الله ﷺ بقباء أربعة أيام، أسس خلالها مسجد قباء وصلى فيه، وهو أول مسجد أسس على التقوى بعد النبوة، فلما كان اليوم الخامس ركب بأمر الله له، وأبو بكر خلفه، وأرسل إلى بني النجار أخواله فجاءوا متقلدين سيوفهم، فسار نحو المدينة وهم حوله، وأدركته الجمعة في بني سالم بن عوف، فجمع بهم في المسجد الذي في الوادي، وكانوا مائة رجل.

دخول المدينة:

ثم سار النبي ﷺ بعد الجمعة حتى دخل المدينة، ومن ذلك اليوم سميت بمدينة رسول الله ﷺ، وكان يومًا مشهودًا، فقد ارتجت البيوت والسكك بأصوات الحمد والتسبيح.

والأنصار وإن لم يكونوا أصحاب ثروات طائلة إلا أن كل واحد منهم كان يتمنى أن ينزل الرسول ﷺ عليه، فكان لا يمر بدار من دور الأنصار إلا أخذوا خطام راحلته، فكان يقول لهم: «**خلوا سبيلها، فإنها مأمورة**»، فلم تزل سائرة به حتى وصلت إلى موضع المسجد النبوي اليوم فبركت، ولم ينزل عنها حتى نهضت وسارت قليلًا، ثم التفتت ورجعت فبركت في موضعها الأول، فنزل



عنهـا، وذلك في بني النجـار أخواله ﷺ وكان من توفيق الله له، فإنه أحب أن ينزل على أخواله، يكرمهم بذلك.

فجعل الناس يكلمون رسول الله ﷺ في النزول عليهم، وبادر أبو أيوب الأنصاري إلى رحله، فأدخله بيته، فجعل رسول الله ﷺ يقـول: «**المـرء مع رحله**»، وجاء أسـعد بـن زرارة فأخذ بزمام راحلته، فكانت عنده.

S S S



تأسيس المجتمع الإسلامي

بناء المسجد:

وأول خطوة قام بها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك هو بناء المسجد النبوي، وبناه في المكان الذي بركت فيه ناقته صلى الله عليه وسلم، فاشتراه من غلامين يتيمين كانا يملكانه، وأسهم في بنائه بنفسه، فكان ينقل الطوب والحجارة ويقول:

اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فاغفر اللهم للأنصار والمهاجرين.

المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار:

ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم مع قيامه ببناء المسجد: مركز التجمع والارتباط، قام بعمل آخر، من أروع ما كتبه التاريخ، وهو عمل المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، فقد آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار في دار أنس بن مالك، وكانوا تسعين رجلًا، نصفهم من المهاجرين، ونصفهم من الأنصار، آخي بينهم على المحبة والأخوة، ويتوارثون بعد الموت.





وقد امتزجت عواطف الإيثار، وتقديم المعروف في هذه الأخوة، وملأت المجتمع الجديد بأروع الأمثال.

وبهذه الحكمة وبهذا التدبير أسس رسول الله صلى الله عليه وسلم قواعد مجتمع جديد، كانت صورته الظاهرة بيانًا وآثارًا للمعاني التي كان يتمتع بها أولئك العظماء بفضل صحبة النبي صلى الله عليه وسلم، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يرعاهم بالتعليم والتربية، وتزكية النفوس، والحث على مكارم الأخلاق، ويؤدبهم بآداب الود والإخاء والمجد والشرف والعبادة والطاعة.

المعاهدة مع اليهود:

بعد أن أرسى رسول الله صلى الله عليه وسلم قواعد مجتمع جديد وأمة إسلامية جديدة، بإقامة الوحدة الدينيه والسياسية بين المسلمين، بدأ بتنظيم علاقاته بغير المسلمين، وكان قصده بذلك توفير الأمن والسلام والسعادة والخير للبشرية جميعًا، مع تنظيم المنطقة في وفاق واحد، فوضع بذلك قوانين التسامح والتحاب التي لم تعهد في ذلك العالم المليء بالتعصب والأغراض.

وأقرب من كان يجاور المدينة من غير المسلمين هم اليهود، وهم وإن كانوا يخفون العداوة للمسلمين، لكن لم يكونوا أظهروا أية





مقاومة أو خصومة بعد، فعقد معهم رسول الله ﷺ معاهدة قرر لهم فيها النصح والخير، وترك لهم فيها مطلق الحرية في الدين والمال، ولم يتجه إلى سياسة الإبعاد أو الخصام.

وبعد عقد هذه المعاهدة صارت المدينة وما يجاورها دولة واحدة، عاصمتها المدينة، على رأسها رسول الله ﷺ، والكلمة الأخيرة والسلطان الغالب فيها للمسلمين.

S S S



مرحلة الجهاد والقتال

محاولات قريش لا تنتهي:

تقدم ما أظهره كفار مكة من الويل والعذاب للمسلمين في مكة، ثم ما أتوا به من الجرائم على المسلمين عند الهجرة من مكة إلى المدينة، ثم إنهم لم يفيقوا ولا امتنعوا عن عدوانهم بعدها، بل زادهم غيظًا أن فاتهم المسلمون ووجدوا مأمنًا ومقرًا بالمدينة، فكتبوا إلى عبد الله بن أبي بن سلول وكان إذ ذاك مشركًا بصفته رئيس الأنصار قبل الهجرة، فعلموا أنهم كانوا قد اتفقوا عليه، وكادوا يجعلونه ملكًا على أنفسهم لولا أن هاجر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليهم، وآمنوا به، فكتبوا إليه وإلى أصحابه من المشركين، حتى يتفق معهم على الغدر برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المدينة حتى يعود إليه ملكه.

ولكن قريشًا كانت تنوي على شر أشد من هذا، وتفكر في القيام بنفسها للقضاء على المسلمين، وخاصة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الإذن بالقتال:

وفي هذه الظروف الخطيرة التي كانت تهدد كيان المسلمين بالمدينة، وتدل على أن قريشًا لن يفيقوا من ضلالهم






ولا يمتنعون عن تمردهم، أنزل الله تعالى الإذن بالقتال للمسلمين، ولم يفرضه عليهم.

قال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: ٣٩].

وكان الإذن مقتصرًا على قتال قريش، ثم تطور فيما بعد مع تغير الظروف حتى وصل إلى مرحلة الوجوب، وتجاوز قريشًا إلى غيرهم.

التحركات العسكرية قبل بدر:

وبعد نزول الإذن بالقتال، قام المسلمون بما هو أشبه بالدوريات الاستطلاعية، وكان المطلوب منها: الاستكشاف والتعرف على الطرق المحيطة بالمدينة، والمسالك المؤدية إلى مكة، وعقد المعاهدات مع القبائل التي مساكنها على هذه الطرق، وإشعار مشركي يثرب ويهودها وأعراب البادية الموجودين حولها بأن المسلمين أقوياء، وأنهم تخلصوا من ضعفهم القديم، وإنذار قريش بعاقبة تكبرها، حتى تفيق عن ضلالها، ولعلها تشعر بكبر الخطر على اقتصادها وأسباب معايشها فتميل إلى السلم، وتمتنع عن إرادة قتال المسلمين في عقر دارهم، وعن الصد عن سبيل



الله، وعن تعذيب المستضعفين من المؤمنين في مكة، حتى يصير المسلمون أحرارًا في إبلاغ رسالة الله في ربوع الجزيرة.

وبعد وقوع ما وقع في السرايا المذكورة تحقق خوف المشركين، وظهر أمامهم الخطر الحقيقي، ووقعوا فيما كانوا يخشون الوقوع فيه، وعلموا أن المدينة في غاية من التيقظ والتربص، تترقب كل حركة من حركاتهم التجارية، وأن المسلمين يستطيعون أن يزحفوا إلى ثلاثمائة ميل تقريبًا.

S S S





غزوة بدر الكبرى

سبب الغزوة:

في غزوة العشيرة حدث أن عيرًا لقريش أفلتت من النبي ﷺ في ذهابها من مكة إلى الشام، فلما قرب رجوعها من الشام إلى مكة بعث رسول الله ﷺ طلحة بن عبيد الله وسعيد ابن زيد إلى الشمال ليقوما باكتشاف خبرها، فوصلا إلى الحوراء ومكثا حتى مر بهما أبو سفيان بالعير، فأسرعا إلى المدينة، وأخبرا رسول الله ﷺ الخبر.

وكانت العير تحمل ثروات هائلة لكبار أهل مكة ورؤسائها: ألف بعير محملة بأموال لا تقل عن خمسين ألف دينار ذهبي، ولم يكن معها من رجال الحرب إلا نحو أربعين رجلًا.

وكانت فرصة ذهبية للمسلمين ليصيبوا أهل مكة بضربة اقتصادية قاصمة، تتألم لها قلوبهم على مر العصور، لذلك أعلن رسول الله ﷺ، قائلًا: «**هذه عير قريش فيها أموالهم، فاخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها**».

ولم يفرض النبي ﷺ على أحد الخروج، بل ترك الأمر





للرغبة المطلقة، لأنه لم يكن يتوقع عند هذا أنه سيصطدم بجيش مكة بدلًا من العير، ولذلك تخلف كثير من الصحابة في المدينة، وهم يحسبون أن مضي رسول الله ﷺ في هذا الاتجاه لن يتعدى ما تعودوه في السرايا والغزوات الماضية، ولذلك لم ينكر على أحد تخلفه في هذه الغزوة.

تحرك جيش المسلمين:

واستعد رسول الله ﷺ للخروج ومعه ثلاثمائة وبضعة عشر رجلًا، وسار رسول الله ﷺ في هذا الجيش غير المستعد للجهاد، فخرج من طريق المدينة، ومضى على الطريق الرئيسي المؤدي إلى مكة، حتى بلغ بئر الروحاء، فلما ارتحل منها ترك طريق مكة إلى اليسار، وانحرف ذات اليمين يريد بدرًا قريب من الصفراء، ومن هنالك بعث اثنين من الصحابة إلى بدر يتحسسان له أخبار العير.

مقر القيادة لرسول الله ﷺ:

وبعد أن تم نزول المسلمين على الماء اقترح سعد بن معاذ على رسول الله ﷺ أن يبني المسلمون مقرًا لقيادته، استعدادًا للطوارئ، وتقديرًا للهزيمة قبل النصر، فأثنى عليه






رسول الله ﷺ خيرًا ودعا له بخير، وبني المسلمون عريشًا على تل مرتفع يقع في الشمال الشرقي لميدان القتال، ويشرف على ساحة المعركة، كما تم اختيار فرقة من شباب الأنصار بقيادة سعد بن معاذ يحرسون رسول الله ﷺ حول مقر قيادته.

المواجهة بين الجيشين:

ولما طلع المشركون وتراءى الجمعان قال رسول الله ﷺ: «**اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك، اللهم فنصرك الذي وعدتني**» وقد قال رسول الله ﷺ ورأى عتبة بن ربيعة في القوم على جمل له أحمر: «إن يكن في أحد من القوم خير فعند صاحب الجمل الأحمر، إن يطيعوه يرشدوا».

بدء المعركة:

وكان أول وقود المعركة أن خرج الأسود بن عبد الأسد المخزومي قائلًا: أعاهد الله لأشربن من حوضهم أو لأهدمنه أو لأموتن دونه.

فلما خرج، خرج له حمزة بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فلما التقيا ضربه حمزة فأطار قدمه بنصف ساقه وهو دون الحوض، فوقع على



ظهره تشخب رجله دمًا نحو أصحابه، ثم حبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه، يريد أن تبر يمينه، ولكن حمزة ثنى عليه بضربة أخرى أتت عليه وهو داخل الحوض.

وكان هذا أول قتل أشعل نار المعركة، فقد خرج بعده ثلاثة من خيرة فرسان قريش كانوا من عائلة واحدة، وهم عتبة وأخوه شيبة ابنا ربيعة، والوليد بن عتبة، فلما انفصلوا من الصف طلبوا المبارزة، فخرج إليهم ثلاثة من شباب الأنصار عوف ومعوذ ابنا الحارث وأمهما عفراء وعبد الله بن رواحة، فقالوا: من أنتم؟ قالوا: رهط من الأنصار. قالوا: أكفاء كرام، ما لنا بكم حاجة، وإنما نريد بني عمنا، ثم نادي مناديهم: يا محمد، أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا.

فقال رسول الله ﷺ: «**قم يا عبيدة بن الحارث، وقم يا حمزة، وقم يا علي**»، فلما قاموا ودنوا منهم، قالوا: من أنتم؟ فأخبروهم، فقالوا: أنتم أكفاء كرام، فبارز عبيدة عتبة بن ربيعة، وبارز حمزة شيبة، وبارز علي الوليد.

فأما حمزة وعلي فلم يمهلا عدويهما أن قتلاهما، وأما عبيدة فاختلف بينه وبين عدوه ضربتان، فأصاب كل واحد منهما صاحبه،





ثم كر علي وحمزة على عتبة فقتلاه، واحتملا عبيدة وقد قطعت رجله، فلـم يـزل ينزف حتى مـات بعد أربعة أو خمسـة أيام مـن وقعة بدر، حينما كان المسلمون في طريقهم إلى المدينة.

الهجوم العام:

وكانت نهاية هذه المبارزة بداية سيئة بالنسبة للمشركين، إذ فقـدوا ثلاثة من خيرة فرسـانهم وقادتهم دفعة واحدة، فاستشـاطوا غضبًا، وكروا على المسلمين كرة رجل واحد.

وأما المسلمون فبعد أن استنصروا ربهم واستغاثوه وأخلصوا له وتضرعوا إليه تلقوا هجمات المشركين المتتالية، وهم مرابطون في مواقعهم، واقفون موقف الدفاع، وقد ألحقوا بالمشركين خسائر فادحة، وهم يقولون: أحد أحد.

S S S





غزوة بني قينقاع

ذكرنا المعاهدة التي عقدها رسول الله ﷺ مع اليهود، وقد كان حريصًا كل الحرص على تنفيذ ما جاء في هذه المعاهدة، وفعلًا لم يأت من المسلمين ما يخالف حرفًا واحدًا من نصوصها.

ولكن اليهود الذين ملأوا تاريخهم بالغدر والخيانة ونكث العهود، ولم يلبثوا أن تمشوا مع طبائعهم القديمة، وأخذوا في طريق الدس والمؤامرة وإثارة القلق والاضطراب في صفوف المسلمين.

فإنهم لما رأوا أن الله قد نصر المؤمنين نصرًا عزيزًا في ميدان بدر، وأنهم قد صارت لهم عزة في قلوب الجميع، زاد غيظهم، وكاشفوا بالشر والعدواة، وجاهروا بالبغي والأذي.

وكانت شر طائفة من طوائفهم الثلاث هم يهود بني قينقاع، كانوا يسكنون داخل المدينة في حي باسمهم وكانوا صاغة وحدادين وصناع الظروف والأواني، ولأجل هذه الحرف كانت قد توفرت لكل رجل منهم آلات الحرب، وكان عدد المقاتلين فيهم سبعمائة،







وكانوا أشـجع يهود المدينة، وكانـوا أول من نكث العهد والميثاق من اليهود.

فلما فتح الله للمسـلمين في بدر اشـتد طغيانهم، وتوسـعوا في تحرشـاتهم واسـتفزازهم، فكانـوا يثيـرون الشـغب، ويتعرضـون بالسـخرية، ويواجهون بالأذى كل من ورد سـوقهم من المسلمين حتى أخذوا يتعرضون لنسائهم.

وعندمـا ازداد أمرهـم واشـتد ظلمهـم، جمعهـم رسـول الله ﷺ فوعظهم ودعاهم إلى الرشـد والهـدي، وحذرهم عاقبة البغي والعدوان، ولكنهم ازدادوا في شرهم وكبرهم.

قدمت امرأة من العرب بشيء لها، فباعته في سوق بني قينقاع، وجلسـت إلى صائغ، فجعلوا يراودونها على كشـف وجهها، فأبت، فعمـد الصائـغ إلى طـرف ثوبها فعقـده إلى ظهرها وهـي غافلة فلما قامت انكشـفت سـوأتها، فضحكوا بها فصاحـت، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله وكان يهوديًا فشدت اليهود على المسلم فقتلوه، فاسـتصرخ أهل المسـلم المسلمين على اليهود، فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع.





الغزو:

وحينئذ نفد صبر رسول الله ﷺ فاستخلف على المدينة أبا لبابة بن عبد المنذر، وأعطي لواء المسلمين حمزة بن عبد المطلب، وسار بجنود الله إلى بني قينيقاع، فلما رأوا جيش المسلمين تحصنوا في حصونهم، فحاصرهم أشد الحصار، وكان ذلك يوم السبت للنصف من شوال في السنة الثانية من الهجرة، ودام الحصار خمس عشرة ليلة إلى هلال ذي القعدة، وقذف الله في قلوبهم الرعب، فنزلوا على حكم رسول الله ﷺ في رقابهم وأموالهم ونسائهم وذريتهم، فأمر بهم فكتفوا.

وحينئذ قام عبد الله بن أبي بن سلول بدور نفاقه، فألح على رسول الله ﷺ أن يصدر عنهم العفو، وعامل رسول الله ﷺ هذا المنافق الذي لم يكن مضي على إظهار إسلامه إلا نحو شهر واحد فحسب، عامله بالحسنى، فوهبهم له، وأمرهم أن يخرجوا من المدينة ولا يجاوروه بها، فخرجوا إلى أذرعات الشام، فقل أن لبثوا فيها حتى هلك أكثرهم.

وقبض رسول الله ﷺ منهم أموالهم، فأخذ منها ثلاث





قسـي ودرعين وثلاثة أسياف وثلاثة رماح، وخمس غنائمهم، وكان الذي تولى جمع الغنائم محمد بن مسلمة.

وبعـد هذه الغزوة، قام رسـول الله ﷺ بعـدة غزوات، وسـرايا صغيرة، حتى يسـتتب لهم الأمر وتستقر الأمور، من ناحية اليهود، وناحية مشركي قريش.

S S S



سرية زيد بن حارثة

وهـي آخر وأنجح دورية للقتال قام بها المسـلمون قبل أحد، وقعـت في جمـادي الآخـرة في السـنة الثالثة مـن الهجـرة، وذلك أن قريشًـا بقيت بعد بدر يساورها القلق والاضطراب، وجاء الصيف، واقترب موسم رحلتها إلى الشام، فأخذها هم آخر.

قال صفوان بن أمية لقريش وهو الذي نخبته قريش في هذا العام لقيادة تجارتها إلى الشـام: إن محمـدًا وصحبه صعبوا علينا متجرنا، فما ندري كيف نصنع بأصحابه، وهم لا يبرحون السـاحل؟ وأهل السـاحل قـد وادعهم ودخـل عامتهم معه، فما ندري أين نسـلك؟ وإن أقمنـا في دارنا هـذه أكلنا رءوس أموالنا فلـم يكن لها من بقاء، وإنما حياتنا بمكة على التجارة إلى الشـام في الصيف، وإلى الحبشـة في الشتاء.

وجهـز رسـول الله ﷺ لوقته حملـة قوامهـا مائة راكب في قيـادة زيـد بن بن حارثة الكلبي، وأسـرع زيد حتـى فاجأ القافلة وهـي تنزل على مـاء في أرض نجد يقـال له: قردة، فاستولى عليها،






ولم يكن من صفوان ومن معه من حرس القافلة إلا الفرار بدون أي مقاومة.

وكانت مأساة شديدة ونكبة كبيرة أصابت قريشًا بعد بدر، اشتد لها قلق قريش وزادتها همًا وحزنًا، ولم يبق أمامها إلا طريقان، إما أن تمتنع عن غطرستها وكبريائها، وتأخذ طريق الموادعة والمصالحة مع المسلمين، أو تقوم بحرب شاملة تعيد لها مجدها الماضي، وعزها القديم، وتقضي على قوات المسلمين بحيث لا يبقى لهم سيطرة على هذا ولا ذاك، وقد اختارت مكة الطريق الثانية، فازداد إصرارها على المطالبة بالثأر، والتهيؤ للقاء المسلمين في تعبئة كاملة، وتصميمها على الغزو في ديارهم.

S S S





غزوة أحد

تصميم قريش على الانتقام:

كانـت مكة تحترق غيظًا على المسـلمين مما أصابها في معركة بدر من مأسـاة الهزيمة وقتل العظماء والأشراف، وكانت تغلي فيها نزعـات الانتقام وأخذ الثأر، حتى إن قريشًـا كانوا قـد منعوا البكاء على قتلاهم في بدر، ومنعوا من الاسـتعجال في فداء الأسـارى حتى لا يتفطن المسلمون مدي مأساتهم وحزنهم.

وعـلى أثر غزوة بدر اتفقت قريش على أن تقوم بحرب شـاملة ضـد المسـلمين، تشـفي غيظها وتـروي غلة حقدهـا، وأخذت في الاستعداد لخوض مثل هذه المعركة.

وكان عكرمة بن أبي جهل، وصفوان بن أمية، وأبو سفيان بن حـرب، وعبد الله بن أبي ربيعة أكثر زعماء قريش نشـاطًا وتحمسًـا لخوض المعركة.

ومما زاد الأمر اشـتعالًا، ما أصاب قريشًـا أخيرًا في سرية زيد ابـن حارثة من الخسـارة الفادحة التي أضعفـت اقتصادها، وزادها






من الحزن والهم ما لا تستطيعه، وحينئذ زادت سرعة قريش في استعدادها لخوض معركة تفصل بينهم وبين المسلمين.

ولما استدارت السنة كانت مكة قد استكملت عدتها، واجتمع إليها من المشركين ثلاثة آلاف مقاتل من قريش والحلفاء والأحابيش، ورأي قادة قريش أن يستصحبوا معهم النساء حتى يكون ذلك أبلغ في استماتة الرجال دون أن تصاب حرماتهم وأعراضهم، وكان عدد هذه النسوة خمس عشرة امرأة.

خروج جيش المسلمين:

خرج جيش المسلمين، واتجه نحو جبل أحد، حتى وصل إلى مكان بين المدينة وأحد، وفي هذا المكان أدركهم المساء، فصلى النبي صلى الله عليه وسلم بهم المغرب، ثم صلى العشاء، وبات هناك، واختار خمسين رجلًا لحراسة المعسكر يتجولون حوله، وكان قائدهم محمد بن مسلمة الأنصاري، وتولى ذكوان بن عبد قيس حراسة النبي صلى الله عليه وسلم خاصة.

اشتعال المعركة:

تقارب الجمعان وتدانت الفئتان، وآنت مرحلة القتال، وكان أول وقود المعركة حامل لواء المشركين طلحة بن أبي طلحة



العبدري، وكان من أشجع فرسان قريش، يسميه المسلمون كبش الكتيبة، خرج وهو راكب على جمل يدعو إلى المبارزة، فأحجم عنه الناس لفرط شجاعته، ولكن تقدم إليه الزبير ولم يعطه الفرصة، بل وثب إليه وثبة الأسد حتى صار معه على جمله، ثم اقتحم به الأرض فألقاه عنه وذبحه بسيفه.

ورأي النبي صلى الله عليه وسلم هذا الصراع الرائع فكبر، وكبر المسلمون.

ثم اندلعت نيران المعركة، واشتد القتال بين الفريقين في كل نقطة من نقاط الميدان، وكان ثقل المعركة يدور حول لواء المشركين، فقد تعاقب بنو عبد الدار لحمل اللواء بعد قتل قائدهم طلحة بن أبي طلحة، فحمله أخوه أبو شيبة عثمان بن أبي طلحة، فحمل عليه حمزة بن عبد المطلب فضربه على عاتقة ضربة بترت يده مع كتفه، حتى وصلت إلى سرته، فبانت رئته، ثم رفع اللواء أبو سعد بن أبي طلحة، فرماه سعد بن أبي وقاص بسهم أصاب حنجرته، فأدلع لسانه ومات لحينه، ثم رفع اللواء مسافع بن طلحة ابن أبي طلحة، فرماه عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح بسهم فقتله، فحمل اللواء بعده أخوه كلاب بن طلحة بن أبي طلحة، فانقض





عليه الزبير بن العوام وقاتله حتى قتله، ثم حمل اللواء أخوهما الجلاس بن طلحة بن أبي طلحة، فطعنه طلحة بن عبيد الله طعنة قضت على حياته.

وبينما كان ثقل المعركة يدور حول لواء المشركين كان القتال المرير يجري في سائر نقاط المعركة، وكانت روح الإيمان قد سادت صفوف المسلمين، فانطلقوا خلال جنود الشرك انطلاق الفيضان تتقطع أمامه السدود، وهم يقولون: «أمت، أمت» كان ذلك شعارًا لهم يوم أحد.

خطأ الرماة:

وكما تقدم من الأوامر الشديدة التي أصدرها رسول الله ﷺ إلى هؤلاء الرماة، بلزومهم موقعهم من الجبل في كل حال من النصر أو الهزيمة، ولكن على الرغم من هذه الأوامر المشددة، لما رأي هؤلاء الرماة أن المسلمين ينتهبون غنائم العدو غلبت عليهم أثارة من حب الدنيا، فقال بعضهم لبعض: الغنيمة، الغنيمة، الغنيمة، ظهر أصحابكم، فما تنتظرون؟

أما قائدهم عبد الله بن جبير، فقد ذكرهم أوامر الرسول ﷺ وقال: أنسيتم ما قال لكم رسول الله ﷺ؟ ولكن





الأغلبية الساحقة لم تلق لهذا التذكير بالًا، وقالت: والله لنأتين الناس فلنصيبن من الغنيمة.

ثم غادر أربعون رجلًا أو أكثر هؤلاء الرماة مواقعهم من الجبل، والتحقوا بسواد الجيش ليشاركوه في جمع الغنائم. وهكذا خلت ظهور المسلمين، ولم يبق فيها إلا ابن جبير وتسعة أو أقل من أصحابه والتزموا مواقعهم مصممين على البقاء حتى يؤذن لهم أو يبادوا.

القتال حول رسول الله ﷺ:

وبينما كانت تلك الطوائف تعاني شدة الحصار، وتحاول الإفلات من قتال المشركين، كان العراك شديدًا حول رسول الله ﷺ، وقد ذكرنا أن المشركين لما بدءوا عمل الحصار لم يكن مع رسول الله ﷺ إلا تسعة نفر، فلما نادى المسلمين: «هلموا إليّ، أنا رسول الله»، سمع صوته المشركون وعرفوه، فكروا إليه وهاجموه، ومالوا إليه بثقلهم قبل أن يرجع إليه أحد من جيش المسلمين، فجرى بين المشركين وبين هؤلاء النفر التسعة من الصحابة عراك عنيف ظهرت فيه أسمى علامات الحب والتفاني والبسالة والبطولة.



وبعد سقوط من حوله الواحد تلو الآخر، بقي الرسول ﷺ في القرشيين فقط، لم يبق معه غير طلحة بن عبيد الله وسعد بن أبي وقاص، وكانت أحرج ساعة في حياة رسول الله ﷺ وفرصة ذهبية بالنسبة للمشركين.

ولم يتأخر المشركون في انتهاز تلك الفرصة، فقد ركزوا حملتهم على النبي ﷺ وطمعوا في القضاء عليه، رماه عتبة ابن أبي وقاص بالحجارة فوقع لشقه، وأصيبت رباعيته اليمنى السفلى، وجرحت شفته السفلى، وتقدم أحدهم فشجه في جبهته، وجاء فارس عنيد آخر، فضرب على عاتقه بالسيف ضربة عنيفة، شكا لأجلها أكثر من شهر، إلا أنه لم يتمكن من هتك الدرعين، ثم ضرب على وجنته ﷺ ضربة أخرى عنيفة كالأولى حتى دخلت حلقتان من حلق المغفر في وجنته.

ولا شك أن المشركين كانوا يهدفون القضاء على حياة رسول الله ﷺ، إلا أن القرشيين سعد بن أبي وقاص وطلحة ابن عبيد الله قاما ببطولة نادرة، وقاتلا ببسالة منقطعة النظير، حتى لم يتركا سبيلًا إلى نجاح المشركين في هدفهم، وكانا من أمهر رماة





العرب فتناضلا حتى أجهضا هجمات المشركين على رسول الله ﷺ.

آخر هجوم قام به المشركون:

وبعد أن تمكن رسول الله ﷺ من الوصول إلى مقر قيادته في الشعب، قام المشركون بآخر هجوم حاولوا به النيل من المسلمين، فبينا رسول الله ﷺ في الشعب إذ علت عالية من قريش الجبل يقودهم أبو سفيان وخالد بن الوليد فقال رسول الله ﷺ: «**اللهم إنه لا ينبغي لهم أن يعلونا**» فقاتل عمر بن الخطاب ورهط معه من المهاجرين حتى أهبطوهم من الجبل.

شماتة أبي سفيان بعد نهاية المعركة:

ولما تكامل تهيؤ المشركين للانصراف، أشرف أبو سفيان على الجبل، فنادى أفيكم محمد؟ فلم يجيبوه.

فقال: أفيكم ابن أبي قحافة أبو بكر الصديق؟ فلم يجيبوه.

فقال: أفيكم عمر بن الخطاب؟ فلم يجيبوه وكان النبي ﷺ منعهم من الإجابة، ولم يسأل إلا عن هؤلاء الثلاثة لعلمه وعلم قومه أن قيام الإسلام بهم.





فقال: أما هؤلاء فقد كفيتموهم، فلم يملك عمر نفسه أن قال: يا عدو الله، إن الذين ذكرتهم أحياء، وقد أبقي الله ما يسوؤك.

ثم قال أبو سفيان: اعل هبل. فقال النبي ﷺ: «**ألا تجيبونه؟**».

فقالوا: فما نقول؟ قال: «قولوا: الله أعلى وأجل».

ثم قال أبو سفيان: لنا العزى ولا عزى لكم، فقال النبي ﷺ: «**ألا تجيبونه؟**» قالوا: ما نقول ؟ قال: «**قولوا: الله مولانا، ولا مولي لكم**».

ثم قال أبو سفيان: يوم بيوم بدر، والحرب سجال، فأجابه عمر، وقال: لا سواء، قتلانا في الجنة، وقتلاكم في النار.

التأكد من رحيل المشركين عن أحد:

ثم رحل المشركون عن أرض المعركة متوجهين إلى مكة، فبعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب، فقال له: «**اخرج في آثار القوم فانظر ماذا يصنعون؟ وما يريدون؟ فإن كانوا قد جنبوا الخيل، وامتطوا الإبل، فإنهم يريدون مكة، وإن كانوا قد ركبوا الخيل وساقوا الإبل فإنهم يريدون المدينة، والذي نفسي**



بيده، **لئن أرادها لأسيرن إليهم فيها، ثم لأناجزنهم**». فخرج علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في آثارهم لينظر ماذا يصنعون، فوجدهم جنبوا الخيل وامتطوا الإبل، ووجهوها إلى مكة.

دفن الشهداء:

وأشرف رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الشهداء فقال: «**أنا شهيد على هؤلاء، إنه ما من جريح يجرح في الله إلا والله يبعثه يوم القيامة، يدمي جرحه، اللون لون الدم، والريح ريح المسك**».

وكان أناس من الصحابة قد نقلوا قتلاهم إلى المدينة، فأمر أن يردوهم، فيدفنوهم في أماكنهم وألا يغسلوا، وأن يدفنوا كما هم بثيابهم بعد نزع الحديد والجلود، وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدفن الاثنين والثلاثة في القبر الواحد، ويجمع بين الرجلين في ثوب واحد.

ولما رأى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما بحمزة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عمه وأخوه من الرضاعة اشتد حزنه، وجاءت عمته صفية تريد أن تنظر أخاها حمزة، فأمر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابنها الزبير أن يصرفها، لا تري ما بأخيها، فقالت: ولم؟ وقد بلغني أن قد مثل بأخي، وذلك في الله، فما أرضانا بما كان من ذلك، لأحتسبن ولأصبرن إن شاء الله، فأتته فنظرت إليه، فصلت عليه ودعت له واسترجعت واستغفرت له،



ثم أمر رسول الله ﷺ بدفنه مع عبد الله بن جحش، وكان ابن أخت حمزة، وأخاه من الرضاعة.

وما بكى رسول الله ﷺ قط أشد من بكائه على حمزة بن عبد المطلب، ووضعه في القبلة، ثم وقف على جنازته واشتد بكاؤه حتى أشفق عليه الصحابة.

الرسول ﷺ في المدينة:

وانتهى رسول الله ﷺ مساء ذلك اليوم إلى المدينة، فلما انتهي إلى أهله ناول سيفه ابنته فاطمة، فقال: «**اغسلي عن هذا دمه يا بنية، فوالله لقد صدقني اليوم**»، وناولها علي بن أبي طالب سيفه، فقال: وهذا أيضًا فاغسلي عنه دمه، فوالله لقد صدقني اليوم، فقال رسول الله ﷺ: «**لئن كنت صدقت القتال، لقد صدق معك سهل بن حنيف وأبو دجانة**».

S S S



غزوة حمراء الأسد

وبـات الرسـول ﷺ وهـو يفكر في الموقـف، فقد كان يخاف أن المشـركين إن فكروا في أنهم لم يسـتفيدوا شـيئًا من النصر والغلبـة التـي كسـبوها في سـاحة القتـال، فلابد مـن أن يندموا على ذلـك، ويرجعوا من الطريق لغزو المدينـة مرة ثانية، فصمم على أن يقوم بعملية مطاردة الجيش المكي.

فنادى النبي ﷺ في الناس، وندبهم إلى المسـير إلى لقاء العدو وذلك صباح الغد من معركة أحد، وقال: «لا يخرج معنا إلا من شهد القتال»، فقال له عبد الله بن أبيّ: أركب معك؟ قال: «لا»، واسـتجاب له المسـلمون على ما بهم من الجرح الشديد، والخوف المزيد، وقالوا: سـمعًا وطاعة. واسـتأذنه جابر بـن عبد الله، وقال: يـا رسـول الله، إني أحـب ألا تشـهد مشـهدًا إلا كنت معـك، وإنما خلفني أبي على بناته فائذن لي أسير معك، فأذن له.

وسار رسول الله ﷺ والمسلمون معه حتى بلغوا حمراء الأسد، على بعد ثمانية أميال من المدينة، فعسكروا هناك.

وهنـاك أقبـل معبـد بـن أبـي معبـد الخزاعـي إلى رسـول الله ﷺ فأسـلم، ويقال: بل كان على شـركه، ولكنه كان ناصحًا



لرسول الله ﷺ لما كان بين خزاعة وبني هاشم من الحلف، فقال: يا محمد، أما والله لقد عز علينا ما أصابك في أصحابك، ولوددنا أن الله عافاك. فأمره رسول الله ﷺ أن يلحق أبا سفيان فيخذله.

ولم يكن ما خافه رسول الله ﷺ من تفكير المشركين في العودة إلى المدينة إلا حقًا، فإنهم لما نزلوا بالروحاء على بعد ستة وثلاثين ميلًا من المدينة تلاوموا فيما بينهم، قال بعضهم لبعض: لم تصنعوا شيئًا، أصبتم شوكتهم وحدهم، ثم تركتموهم، وقد بقي منهم رءوس يجمعون لكم، فارجعوا حتى تقضوا عليهم.

ولكنهم لما سمعوا بخروج النبي ﷺ ومن معه إلى حمراء الأسد، خافوا أن يعودوا، خشية أن يكون أعد لهم العدة، فينتقم منهم، فأسرعوا إلى مكة.

S S S



غزوة بني النضير

قد أسلفنا أن اليهود كانوا يتحرقون على الإسلام والمسلمين إلا أنهم لم يكونوا أصحاب حرب وضرب، بل كانوا أصحاب دسيسة ومؤامرة، فكانوا يجاهرون بالحقد والعداوة، ويختارون أنواعًا من الحيل، لإيقاع الإيذاء بالمسلمين دون أن يقوموا للقتال مع ما كان بينهم وبين المسلمين من عهود ومواثيق، وأنهم بعد وقعة بني قينقاع وقتل كعب بن الأشرف خافوا على أنفسهم فاستكانوا والتزموا الهدوء والسكوت.

وخلا اليهود بعضهم إلى بعض، وسول لهم الشيطان الشقاء الذي كتب عليهم، فتآمروا على قتله ﷺ وقالوا: أيكم يأخذ هذه الرحى، ويصعد فيلقيها على رأسه فيقتله بها؟ فقال أشقاهم عمرو بن جحاش: أنا. فقال لهم سلام بن مشكم: لا تفعلوا، فوالله ليخبرن بما هممتم به، وإنه لنقض للعهد الذي بيننا وبينه، ولكنهم عزموا على تنفيذ خطتهم.

ونزل جبريل من عند رب العالمين على رسوله ﷺ يعلمه بما هموا به، فنهض مسرعًا وتوجه إلى المدينة، ولحقه أصحابه فقالوا: نهضت ولم نشعر بك، فأخبرهم بما همت به يهود.







فخرج رسول الله ﷺ هو وأصحابه، حتى لحقوا بحصون بني النضير، فحاصروها.

ولم يطل الحصار، فقد دام ست ليال فقط، حتى قذف الله في قلوبهم الرعب، فاندحروا وتهيئوا للاستسلام ولإلقاء السلاح، فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ: نحن نخرج عن المدينة، فأنزلهم على أن يخرجوا عنها بنفوسهم ونسائهم، وأن لهم ما حملت الإبل إلا السلاح.

فنزلوا على ذلك، وخربوا بيوتهم بأيديهم، ليحملوا الأبواب والشبابيك، بل حتى حمل بعضهم الأوتاد وجذوع السقف، ثم حملوا النساء والصبيان، وتحملوا على ستمائة بعير، فترحل أكثرهم وأكابرهم كحيي بن أخطب وسلام بن أبي الحقيق إلى خيبر، وذهبت طائفة منهم إلى الشام، وأسلم منهم رجلان فقط: يامين بن عمرو وأبو سعد بن وهب، فأحرزا أموالهما.

وقبض رسول الله ﷺ سلاح بني النضير، واستولى على أرضهم وديارهم وأموالهم، فوجد من السلاح خمسين درعًا وخمسين بيضة، وثلاثمائة وأربعين سيفًا.





غزوة الأحزاب

عاد الأمن والسلام، وهدأت الجزيرة العربية بعد الحروب والبعوث التي استغرقت أكثر من سنة كاملة، إلا أن اليهود الذين كانوا قد ذاقوا ألوانًا من الذلة والهوان نتيجة غدرهم وخيانتهم ومؤامراتهم ودسائسهم لم يفيقوا من غيهم، ولم يهدأوا، ولم يتعظوا بما أصابهم من نتيجة الغدر والتآمر.

وشرعوا في التآمر من جديد على المسلمين، وأخذوا يعدون العدة، لتصويب ضربة إلى المسلمين تكون قاتلة لا حياة بعدها، ولما لم يكونوا يجدون في أنفسهم جرأة على قتال المسلمين مباشرة، خططوا لهذا الغرض خطة رهيبة.

خرج عشرون رجلًا من زعماء اليهود وسادات بني النضير إلى قريش بمكة، يحرضونهم على غزو الرسول ﷺ ويوالونهم عليه، ووعدوهم من أنفسهم بالنصر لهم، فأجابتهم قريش، وكانت قريش قد أخلفت موعدها في الخروج إلى بدر، فرأت في ذلك إنقاذًا لسمعتها والبر بكلمتها.

ثم خرج هذا الوفد إلى غطفان، فدعاهم إلى ما دعا إليه قريشًا فاستجابوا لذلك، ثم طاف الوفد في قبائل العرب الواحدة تلو



الأخرى، يدعونهم إلى ذلك فاستجاب لهم من استجاب، وهكذا نجح كبار اليهود وقادتهم في تأليب أحزاب الكفر على النبي ﷺ والمسلمين.

وعلى إثر ذلك خرجت من الجنوب قريش وكنانة وحلفاؤهم من أهل تهامة وقائدهم أبو سفيان في أربعة آلاف، ووافاهم بنو سليم بمر الظهران، وخرجت من الشرق قبائل غطفان: بنو فزارة، يقودهم عيينة بن حصن، وبنو مرة، يقودهم الحارث بن عوف، وبنو أشجع، يقودهم مسعر بن رحيلة، كما خرجت بنو أسد وغيرها، واتجهت هذه الأحزاب وتحركت نحو المدينة على ميعاد كانت قد تعاهدت عليه.

وبعد أيام تجمع حول المدينة جيش عرمرم يبلغ عدده عشرة آلاف مقاتل، جيش ربما عدده يزيد على جميع من في المدينة من النساء والصبيان والشباب والشيوخ.

وسارع رسول الله ﷺ إلى عقد مجلس استشاري أعلى، تناول فيه موضوع خطة الدفاع عن كيان المدينة، وبعد مناقشات جرت بين القادة وأهل الشورى اتفقوا على قرار قدمه الصحابي النبيل سلمان الفارسي رضي الله عنه قال سلمان: يا رسول الله، إنا كنا





بأرض فارس إذا حوصرنا خندقنا علينا، وكانت خطة حكيمة لم تكن تعرفها العرب قبل ذلك.

وأسرع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى تنفيذ هذه الخطة، فوكل إلى كل عشرة رجال أن يحفروا من الخندق أربعين ذراعًا، وقام المسلمون بجد ونشاط يحفرون الخندق، ورسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحثهم ويساهمهم في عملهم هذا.

وكان معهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الخندق، وهم يحفرون، وينقلون التراب على أكتافهم، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة، فاغفر للأنصار والمهاجرة**».

وقد وقعت أثناء حفر الخندق آيات من علامات نبوته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقد رأي جابر بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جوعًا شديدًا فذبح بهيمة، وطحنت امرأته صاعًا من شعير، ثم التمس من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سرًا أن يأتي في نفر من أصحابه، فنادى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في جميع أهل الخندق، وهم ألف، فأكلوا من ذلك الطعام وشبعوا، وبقيت برمة اللحم ممتلئة به كما هي، وبقي العجين يخبز كما هو.





ولما كان يوم الخندق عرضت لهم في بعض الخندق صخرة لا تأخذ منها المعاول، فاشتكوا ذلك لرسول الله ﷺ، فجاء وأخذ المعول فقال: «بسم الله»، ثم ضربة ضربة، وقال: «الله أكبر، أعطيت مفاتيح الشام، والله إني لأنظر قصورها الحمر الساعة»، ثم ضرب الثانية فقطع آخر، فقال: «الله اكبر، أعطيت فارس، والله إني لأبصر قصر المدائن الأبيض الآن»، ثم ضرب الثالثة، فقال: «بسم الله»، فقطع بقية الحجر، فقال: «الله أكبر، أعطيت مفاتيح اليمن، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني».

وخرج رسول الله ﷺ في ثلاثة آلاف من المسلمين، فجعلوا ظهورهم إلى جبل سلع فتحصنوا به، والخندق بينهم وبين الكفار، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم.

ولما رأى المشركون مهاجمة المسلمين واقتحام المدينة، وجدوا خندقًا عريضًا يحول بينهم وبينها، فالتجئوا إلى فرض الحصار على المسلمين، بينما لم يكونوا مستعدين له حين خرجوا من ديارهم، إذ كانت هذه الخطة مكيدة ماعرفتها العرب، فلم يكونوا أدخلوها في حسابهم.





وأخـذ المشـركون يدورون حـول الخندق يتحسسـون نقطة ضعيفـة، لينحـدروا منها، وأخذ المسـلمون يتطلعـون إلى جولات المشـركين، يضربونهـم بالنبل، حتى لا يجترئوا عـلى الاقتراب منه ولا يسـتطيعوا أن يقتحموه، أو يهيلوا عليـه التراب، ليبنوا به طريقًا يمكنهم من العبور.

وأرسـل رسـول الله ﷺ في ليلة باردة حذيفة بن اليمان يأتيه بخبرهم، فوجدهم على هذه الحالة، وقد تهيئوا للرحيل، فرجع إلى رسـول الله ﷺ فأخبره برحيل القوم، فأصبح رسـول الله ﷺ وقـد رد الله عـدوه بغيظهـم لم ينالـوا خيـرًا، وكفـاه الله قتالهـم، فصدق وعـده، وأعز جنده، ونصر عبـده، وهزم الأحزاب وحده، فرجع إلى المدينة.

S S S





غزوة بني قريظة

وفي اليوم الذي رجع فيه رسول الله إلى المدينة، جاءه جبريل عند الظهر، وهو يغتسل في بيت أم سلمة، فقال: أو قد وضعت السلاح؟ فإن الملائكة لم تضع أسلحتهم، وما رجعت الآن إلا من طلب القوم، فانهض بمن معك إلى بني قريظة، فإني سائر أمامك أزلزل بهم حصونهم، وأقذف في قلوبهم الرعب، فسار جبريل في كوكبة من الملائكة.

وأمر رسول الله ﷺ مؤذنًا فأذن في الناس: من كان سامعًا مطيعًا فلا يصلين العصر إلا ببني قريظة، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم، وأعطى الراية علي بن أبي طالب، وقدمه إلى بني قريظة، فسار علي حتى إذا دنا من حصونهم سمع منها مقالة قبيحة لرسول الله ﷺ.

هكذا تحرك الجيش الإسلامي نحو بني قريظة جماعات، حتى تلاحقوا بالنبي ﷺ وهم ثلاثة آلاف، والخيل ثلاثون فرسًا، فنزلوا حصون بني قريظة، وفرضوا عليهم الحصار.

ولما اشتد عليهم الحصار عرض عليهم رئيسهم كعب بن أسد ثلاث خصال: إما أن يسلموا ويدخلوا مع محمد ﷺ



في دينه، فيأمنوا على دمائهم وأموالهم وأبنائهم ونسائهم، وإما أن يقتلوا ذراريهم ونساءهم بأيديهم، ويخرجوا إلى النبي ﷺ بالسيوف مقاتلين، يناجزونه حتى يظفروا بهم، أو يقتلوا عن آخرهم، وإما أن يهجموا على رسول الله ﷺ وأصحابه، ويكبسوهم يوم السبت، لأنهم قد أمنوا أن يقاتلوهم فيه، فأبوا أن يجيبوه إلى واحدة من هذه الخصال الثلاث، وحينئذ قال سيدهم كعب بن أسد في انزعاج وغضب: ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازمًا.

ولم يبق لقريظة بعد رد هذه الخصال الثلاث إلا أن ينزلوا على حكم رسول الله ﷺ ولكنهم أرادوا أن يتصلوا ببعض حلفائهم من المسلمين، وحينئذ بادروا إلى النزول على حكم رسول الله ﷺ وأمر رسول الله ﷺ باعتقال الرجال، فوضعت القيود في أيديهم تحت إشراف محمد بن مسلمة الأنصاري، وجعلت النساء والذراري بمعزل عن الرجال في ناحية، وقامت الأوس إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله، قد فعلت في بني قينقاع ما قد علمت، وهم حلفاء إخواننا الخزرج، وهؤلاء موالينا، فأحسن فيهم، فقال: «ألا ترضون أن يحكم فيهم





رجل منكم؟» قالوا: بلي. قال: «فذاك إلى سعد بن معاذ». قالوا: قد رضينا.

ولما انتهى سعد وكان جريحًا إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال للصحابة: «قوموا إلى سيدكم»، فلما أنزلوه قالوا: يا سعد، إن هؤلاء قد نزلوا على حكمك. قال: وحكمي نافذ عليهم؟ قالوا: نعم. قال: وعلى المسلمين؟ قالوا: نعم، قال: وعلى من هاهنا؟ وأعرض بوجهه وأشار إلى ناحية رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إجلالًا له وتعظيمًا. قال: «نعم، وعلي». قال سعد: فإني أحكم فيهم أن يقتل الرجال، وتسبي الذرية، وتقسم الأموال، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سموات**».

وهكذا تم استئصال أفاعي الغدر والخيانة، الذين كانوا قد نقضوا الميثاق المؤكد، وعاونوا الأحزاب على إبادة المسلمين في أحرج ساعة كانوا يمرون بها في حياتهم، وكانوا قد صاروا بعملهم هذا من أكابر مجرمي الحروب الذين يستحقون المحاكمة والإعدام.

S S S





عمرة الحديبية

سبب عمرة الحديبية:

ولما تطورت الظروف في الجزيرة العربية إلى حد كبير لصالح المسلمين، أخذت طلائع الفتح الأعظم ونجاح الدعوة الإسلامية تبدو شيئًا فشيئًا، وبدأت التمهيدات لإقرار حق المسلمين في أداء عبادتهم في المسجد الحرام، الذي كان قد صدوا عنه.

رأى رسول الله ﷺ في المنام، وهو بالمدينة، أنه دخل هو وأصحابه المسجد الحرام، وأخذ مفتاح الكعبة، وطافوا واعتمروا، وحلق بعضهم وقصر بعضهم، فأخبر بذلك أصحابه ففرحوا، وحسبوا أنهم داخلون مكة عامهم ذلك، وأخبر أصحابه أنه معتمر فتجهزوا للسفر.

محاولة قريش صد المسلمين عن البيت:

وكانت قريش لما سمعت بخروج النبي ﷺ عقدت مجلسًا استشاريًا قررت فيه صد المسلمين عن البيت كيفما يمكن، فبعد أن أعرض رسول الله ﷺ عن بعض القبائل، نقل إليه رجل من بني كعب أن قريشًا نازلة بذي طوي، وأن مائتي فارس في





قيادة خالد بن الوليد مرابطة في الطريق الرئيسي الذي يوصل إلى مكة، وقد حاول صد المسلمين، فقام بفرسانه إزاءهم يتراءى الجيشان، ورأي خالد المسلمين في صلاة الظهر يركعون ويسجدون، فقال: لقد كانوا على غرة، لو كنا حملنا عليهم لأصبنا منهم، ثم قرر أن يميل على المسلمين وهم في صلاة العصر ميلة واحدة، ولكن الله أنزل حكم صلاة الخوف، ففاتت الفرصة خالدًا.

قريش ترسل للتفاوض:

قرر زعماء قريش وكبراؤها التفاوض والتفاهم مع رسول الله ﷺ وأصحابه، إن كانوا أتوا معتمرين حقًا ولم يأتوا للقتال، فقد أرهقتهم الحروب السابقة مع المسلمين ورأوا منهم الشدة في القتال، والإقبال على إظهار الحق.

ولما رأي شباب قريش الطائشون، الطامحون إلى الحرب، رغبة زعمائهم في الصلح فكروا في خطة تحول بينهم وبين الصلح، فقروا أن يخرجوا ليلًا، ويتسللوا إلى معسكر المسلمين، ويحدثوا أحداثًا تشعل نار الحرب، وفعلًا قد قاموا بتنفيذ هذا القرار، فقد خرج سبعون أو ثمانون منهم ليلًا فهبطوا من جبل التنعيم، وحاولوا التسلل إلى معسكر المسلمين، غير أن محمد بن مسلمة



قائد الحرس اعتقلهم جميعًا، ورغبة في الصلح أطلق سراحهم النبي ﷺ وعفا عنهم، وفي ذلك أنزل الله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: ٢٤].

عثمان بن عفان سفيرًا إلى قريش:

وحينئذ أراد رسول الله ﷺ أن يبعث سفيرًا يؤكد لدي قريش موقفه وهدفه من هذا السفر، فدعا عمر بن الخطاب ليرسله إليهم، فاعتذر قائلًا: يا رسول الله، ليس لي أحد بمكة من بني عدي ابن كعب يغضب لي إن أوذيت، فأرسل عثمان بن عفان، فإن عشيرته بها، وإنه مبلغ ما أردت، فدعاه، وأرسله إلى قريش، وقال: أخبرهم أنا لم نأت لقتال، وإنما جئنا عمارًا، وادعهم إلى الإسلام، وأمره أن يأتي رجالًا بمكة مؤمنين، ونساء مؤمنات، فيبشرهم بالفتح، ويخبرهم أن الله تَعَالَىٰ مظهر دينه بمكة، حتى لا يستخفي فيها أحد بالإيمان.

فانطلق عثمان حتى مر على قريش ببلدح، فقالوا: أين ترد؟ فقال: بعثني رسول الله ﷺ بكذا وكذا، قالوا: قد سمعنا ما تقول، فانفذ لحاجتك، وقام إليه أبان بن سعيد بن العاص، فرحب به ثم أسرج فرسه، فحمل عثمان على الفرس، وأجاره وأردفه حتى جاء مكة، وبلغ الرسالة إلى زعماء قريش، فلما فرغ عرضوا عليه أن





يطـوف بالبيت، فرفض هذا العرض، وأبـي أن يطوف حتى يطوف رسول الله ﷺ.

بيعة الرضوان:

واحتبسته قريش عندها ولعلهم أرادوا أن يتشاوروا فيما بينهم في الوضـع الراهـن، ويتخـذوا قرارهـم، ثم يـردوا عثمـان بجواب مـا جاء به من الرسـالة وطال الاحتباس، فشـاع بين المسـلمين أن عثمان قتل، فقال رسول الله ﷺ لما بلغته الإشاعة: «**لا نبرح حتـى نناجز القوم**»، ثم دعا أصحابه إلى البيعة، فثاروا إليه يبايعونه على ألا يفروا، وبايعته جماعة على الموت، وأول من بايعه أبو سـنان الأسدي، وبايعه سلمة بن الأكوع على الموت ثلاث مرات، في أول الناس ووسـطهم وآخرهم، وأخذ رسـول الله ﷺ بيد نفسـه وقال: «**هذه عن عثمان**».

ولما تمت البيعة جاء عثمان فبايعه، ولم يتخلف عن هذه البيعة إلا رجل من المنافقين يقال له: جد بن قيس.

أخـذ رسـول الله ﷺ هـذه البيعة تحت شـجرة، وكان عمـر آخـذًا بيده، ومعقل بن يسـار آخذًا بغصن الشـجرة يرفعه عن رسـول الله ﷺ، وهذه هي بيعة الرضوان التي أنزل الله فيها:



﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨].

صلح الحديبية:

وعرفت قريش ضيق الموقف، فأسرعت إلى بعث سهيل بن عمرو لعقد الصلح، وأكدت له ألا يكون في الصلح إلا أن يرجع عنا عامه هذا، حتى لا تتحدث العرب أنه دخلها علينا رغمًا عنا أبدًا، فأتاه سهيل بن عمرو، فلما رآه قال: «**قد سهل لكم أمركم**»، أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل، فجاء سهيل فتكلم طويلًا، ثم اتفقا على قواعد الصلح، وهي:

١- الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه يرجعون من عامهم هذا، فلا يدخلون مكة، وإذا كان العام القابل دخلها المسلمون فأقاموا بها ثلاثًا، معهم سلاح الراكب، السيوف في القرب، ولا يتعرض لهم بأي نوع من أنواع التعرض.

٢- وضع الحرب بين الطرفين عشر سنين، يأمن فيها الناس، ويكف بعضهم عن بعض.

٣- من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه، وتعتبر القبيلة



التي تنضم إلى أي الفريقين جزءًا من ذلك الفريق، فأي عدوان تتعرض له أي من هذه القبائل يعتبر عدوانًا على ذلك الفريق.

٤- من أتى محمدًا من قريش من غير إذن وليه أي هاربًا منهم رده عليهم، ومن جاء قريشًا ممن مع محمد أي هاربًا منه لم يرد عليه.

ثم تمت كتابة الصلح في الصحيفة، ولما تم الصلح دخلت خزاعة في عهد رسول الله ﷺ وكانوا حلفاء بني هاشم منذ عهد عبد المطلب، ودخلت بنو بكر في عهد قريش.

النهي عن رد المهاجرات:

ثم جاء نسوة مؤمنات إلى رسول الله ﷺ فسأل أولياؤهن أن يردوهن عليهم بالعهد الذي تم في الحديبية، فرفض طلبهم هذا، بدليل أن الكلمة التي كتبت في المعاهدة بصدد هذا البند هي: وعلى أنه لا يأتيك منا رجل، وإن كان على دينك إلا رددته علينا، فلم تدخل النساء في العقد رأسًا.

وأنزل الله في ذلك:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ ۚ وَلَا



جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ ﴾ [الممتحنة: ١٠]، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمتحنهن بقوله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الممتحنة: ١٢].

فمن أقرت بهذه الشروط قال لها: «قد بايعتك»، ثم لم يكن يردهن.

حزن المسلمين ومناقشة عمر النبي صلى الله عليه وسلم:

كانت هاتان الظاهرتان مثار الريب والوساوس، وصارت مشاعر المسلمين لأجلهما جريحة، بحيث غلب الهم والحزن على التفكير في عواقب بنود الصلح، ولعل أعظمهم حزنًا كان عمر بن الخطاب، فقد جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال: يا رسول الله، ألسنا على حق وهم على باطل؟ قال: «بلى».

قال: أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؟ قال: «بلي» قال: ففيم نعطي الدنية في ديننا، ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم؟ قال: «**يا ابن الخطاب، إني رسول الله ولست أعصيه، وهو ناصري ولن يضيعني أبدًا**».







قال: أوليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: «بلى، فأخبرتك أنا نأتيه العام؟» قال: لا. قال: «فإنك آتيه ومطوف به».

ثم انطلق عمر متغيظًا فأتى أبا بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فقال له كما قال لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورد عليه أبو بكر، كما رد عليه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سواء، وزاد: فاستمسك بغرزه حتى تموت، فوالله إنه لعلى الحق.

ثم نزلت: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح: ١]، فأرسل رسول الله إلى عمر فأقرأه إياها. فقال: يا رسول الله، أو فتح هو؟ قال: «نعم» فطابت نفسه ورجع.

ثم ندم عمر على ما فرط منه ندمًا شديدًا، قال عمر: فعملت لذلك أعمالًا، مازلت أتصدق وأصوم وأصلي وأعتق من الذي صنعت يومئذ، مخافة كلامي الذي تكلمت به، حتى رجوت أن يكون خيرًا.

S S S





مكاتبة الملوك والأمراء

في أواخر السنة السادسة حين رجع رسول الله ﷺ من الحديبية كتب إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام.

ولما أراد أن يكتب إلى هؤلاء الملوك قيل له: إنهم لا يقرأون كتابًا إلا وعليه خاتم، فاتخذ النبي ﷺ خاتمًا من فضة، نقشه: محمد رسول الله.

فأرسل الكتب إلى كل من:

النجاشي ملك الحبشة/ المقوقس ملك مصر/ كسرى ملك فارس/ قيصر ملك الروم/ المنذر بن ساوي/ هوذة بن على صاحب اليمامة/ الحارث بن أبي شمر الغساني/ صاحب دمشق/ ملك عمان.

وبهذه الكتب كان النبي ﷺ قد أبلغ دعوته إلى أكثر ملوك الأرض، فمنهم من آمن به ومنهم من كفر، ولكن شغل فكر هؤلاء الكافرين، وعرف لديهم باسمه ودينه.

S S S





غزوة خيبر

كانت خيبر مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع على بعد ثمانين ميلًا من المدينة في جهة الشمال.

سبب الغزوة:

ولما كانت خيبر هي وكر الدسيسة والتآمر ومركز الاستفزازات العسكرية، وموطن التحرشات وإثارة الحروب، كانت هي الجديرة بالتفات المسلمين أولًا.

ولا ننسي أن أهل خيبر هم الذين جمعوا الأحزاب ضد المسلمين، وأثاروا بني قريظة على الغدر والخيانة، ثم أخذوا في الاتصالات بالمنافقين، وبغطفان، وأعراب البادية، وكانوا هم أنفسهم يتهيئون للقتال، فألقوا المسلمين بإجراءاتهم هذه في محن متواصلة، حتى وضعوا خطة لاغتيال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وأمام ذلك كله اضطر المسلمون إلى البعوث متواصلة، وإلى الفتك برأس هؤلاء المتآمرين، مثل سلام بن أبي الحقيق، وأسير ابن زارم، ولكن الواجب على المسلمين إزاء هؤلاء اليهود كان أكبر من ذلك،وإنما أبطئوا في القيام بهذا الواجب، لأن قوة أكبر







وأقوى وألد وأعند منهم وهي قريش كانت مواجهة للمسلمين، فلما انتهت هذه المواجهة صفا الجو لمحاسبة هؤلاء المجرمين، واقترب يوم حسابهم.

الخروج إلى خيبر:

فلما أراد رسول الله ﷺ الخروج إلى خيبر أعلن ألا يخرج معه إلا راغب في الجهاد، فلم يخرج إلا أصحاب الشجرة وهم ألف وأربعمائة.

وقد قام المنافقون يعملون لليهود، فقد أرسل رأس المنافقين عبد الله بن أبي إلى يهود خيبر: إن محمدًا قد قصدكم، وتوجه إليكم، فخذوا حذركم، ولا تخافوا منه فإن عددكم وعدتكم كثيرة وقوم محمد شرذمة قليلون، عزل، لا سلاح معهم إلا قليل، فلما علم ذلك أهل خيبر، أرسلوا كنانة بن أبي الحقيق، وهوذة بن قيس إلى غطفان يستمدونهم، أنهم كانوا حلفاء يهود خيبر، ومظاهرين لهم على المسلمين، وشرطوا لهم نصف ثمار خيبر إن هم غلبوا المسلمين.





المسلمون في طريقهم إلى خيبر:

وسلك رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في اتجاهه نحو خيبر جبل عصر ثم على الصهباء، ثم نزل على واد يقال له: الرجيع، وكان بينه وبين غطفان مسيرة يوم وليلة، فتهيأت غطفان وتوجهوا إلى خيبر، لإمداد اليهود، فلما كانوا ببعض الطريق سمعوا من خلفهم حسًا ولغطًا، فظنوا أن المسلمين أغاروا على أهاليهم وأموالهم فرجعوا، وخلوا بين رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبين خيبر.

بشارات النصر:

ولما كانت ليلة الدخول قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لأعطين الراية غدًا رجلًا يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، يفتح الله على يديه**» فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كلهم يرجو أن يعطاها، فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أين علي بن أبي طالب؟**» فقالوا: يا رسول الله، هو يشتكي عينيه، قال: «**فأرسلوا إليه**»، فأتى به فبصق رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في عينيه، ودعا له، فبرئ، كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا رسول الله، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**انفذ على رسلك، حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من**



حق الله فيه، فوالله، لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا، خير لك من أن يكون لك حمر النعم».

القتال حول الحصون وفتح خيبر:

ودار القتال المرير حول الحصون، قتل فيه عدة سراة من اليهود، انهارت لأجله مقاومة اليهود، وعجزوا عن صد هجوم المسلمين، وقد دام القتال أيامًا لاقي المسلمون فيها مقاومة شديدة، إلا أن اليهود يئسوا من مقاومة المسلمين، فتسللوا من هذا الحصن إلى حصن الصعب، واقتحم المسلمون حصن ناعم.

المفاوضات:

وأرسل ابن أبي الحقيق إلى رسول الله ﷺ: انزل فأكلمك؟ قال: «نعم»، فنزل وصالح على حقن دماء من في حصونهم من المقاتلة، وترك الذرية لهم، ويخرجون من خيبر وأرضها بذراريهم، ويخلون بين رسول الله ﷺ وبين ما كان لهم من مال وأرض، وعلى الصفراء والبيضاء أي: الذهب والفضة إلا ثوبًا على ظهر إنسان، فقال رسول الله ﷺ: «**وبرئت منكم ذمة الله وذمة رسوله، إن كتمتموني شيئًا**»، فصالحوه على ذلك،





وبعد هذه المصالحة تم تسليم الحصون إلى المسلمين، وبذلك تم فتح خيبر.

وأراد رسول الله ﷺ أن يجلي اليهود من خيبر، فقالوا: يا محمد، دعنا نكون في هذه الأرض، نصلحها، ونقوم عليها، فنحن أعلم بها منكم، ولم يكن لرسول الله ﷺ ولا لأصحابه غلمان يقومون عليها، وكانوا لا يفرغون حتى يقوموا عليها، فأعطاهم خيبر على أن لهم الشطر من كل زرع، ومن كل ثمر، ما بدا لرسول الله ﷺ أن يقرهم، وكان عبد الله بن رواحة أميرًا عليهم.

وقسم أرض خيبر على ستة وثلاثين سهمًا، جمع كل سهم مائة سهم، فكانت ثلاثة آلاف وستمائة سهم، فكان لرسول الله ﷺ والمسلمين النصف من ذلك، وهو ألف وثمانمائة سهم، لرسول الله ﷺ سهم كسهم أحد المسلمين، وعزل النصف الآخر، وهو ألف وثمانمائة سهم، لنوائبه وما يتنزل به من أمور المسلمين، وإنما قسمت على ألف وثمانمائة سهم لأنها كانت طعمة من الله لأهل الحديبية من شهد منهم ومن غاب، وكانوا ألفًا وأربعمائة، وكان معهم مائتا فرس، لكل فرس سهمان، فقسمت





على ألف وثمانمائة سهم، فصار للفارس ثلاثة أسهم، وللراجل سهم واحد.

الشاة المسمومة:

ولما اطمأن رسول الله ﷺ بخيبر بعد فتحها أهدت له زينب بنت الحارث، امرأة سلام بن مشكم، شاة مشوية، وقد سألت أي عضو أحب إلى رسول الله ﷺ؟ فقيل لها: الذراع، فأكثرت فيها من السم، ثم سممت سائر الشاة، ثم جاءت بها، فلما وضعتها بين يدي رسول الله ﷺ تناول الذراع، فلاك منها مضغة فلم يسغها، ولفظها، ثم قال: «**إن هذا العظم ليخبرني أنه مسموم**»، ثم دعا بها فاعترفت، فقال: «**ما حملك على ذلك؟**» قالت: قلت: إن كان ملكًا استرحت منه، وإن كان نبيًا فسيخبر، فتجاوز عنها.

العودة إلى المدينة:

ثم أخذ رسول الله ﷺ في العودة إلى المدينة، وفي الطريق أشرف الناس على واد فرفعوا أصواتهم بالتكبير: الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، فقال رسول الله ﷺ: «**أربعوا على أنفسكم، إنكم لا تدعون أصم ولا غائبًا، إنكم تدعون سميعًا قريبًا**».







معركة مؤتة

وهذه المعركة أكبر لقاء أصيب فيه المسلمون، وأعظم حرب دامية خاضها المسلمون في حياة رسول الله ﷺ، وهي مقدمة وتمهيد لفتوح بلدان النصارى، وقعت في جمادي الأولى في السنة الثامنة من الهجرة.

سبب المعركة:

وسبب هذه المعركة أن رسول الله ﷺ بعث الحارث ابن عمير الأزدي بكتابه إلى عظيم بصري، فعرض له شرحبيل بن عمرو الغساني وكان عاملًا على البلقاء من أرض الشام من قبل قيصر فأوثقه رباطًا، ثم قدمه، فضرب عنقه.

وكان قتل السفراء والرسل من أشنع الجرائم، يساوي بل يزيد على إعلان حالة الحرب، فاشتد ذلك على رسول الله ﷺ حين نقلت إليه الأخبار، فجهز إليهم جيشًا قوامه ثلاثة آلاف مقاتل، وهو أكبر جيش إسلامي لم يجتمع قبل ذلك إلا في غزوة الأحزاب.

وصية رسول الله ﷺ:

أمر رسول الله ﷺ على هذا البعث زيد بن حارثة،





وقال: «إن قتل زيد فجعفر، وإن قتل جعفر فعبد الله بن رواحة»، وعقد لهم لواء أبيض، ودفعه إلى زيد بن حارثة.

تحرك الجيش الإسلامي:

وتحرك الجيش الإسلامي في اتجاه الشمال حتى نزل معان، من أرض الشام، مما يلي الحجاز الشمالي، وحينئذ نقلت إليهم الاستخبارات بأن هرقل نازل بمأرب من أرض البلقاء في مائة ألف من الروم، وانضم إليهم من لخم وجذام وبلقين وبهراء وبلي مائة ألف.

الجيش الإسلامي يتحرك نحو العدو:

وحينئذ بعد أن قضى الجيش الإسلامي ليلتين في معان، تحركوا إلى أرض العدو، حتى لقيتهم جموع هرقل بقرية من قرى البلقاء ثم دنا العدو، وانحاز المسلمون إلى مؤتة، فعسكروا هناك، وتعبئوا للقتال، فجعلوا على ميمنتهم قطبة بن قتادة العذري، وعلى الميسرة عبادة بن مالك الأنصاري.

بداية القتال، وتناوب القواد:

وهناك في مؤتة التقى الفريقان، وبدأ القتال المرير، ثلاثة آلاف رجل يواجهون هجمات مائتي ألف مقاتل، معركة عجيبة



تشاهدها الدنيا بالدهشة والحيرة، ولكن إذا هبت ريح الإيمان جاءت بالعجائب.

أخذ الراية زيد بن حارثة حب رسول الله ﷺ وجعل يقاتل بضراوة بالغة، وبسالة لا يوجد لها نظير إلا في أمثاله من أبطال الإسلام، فلم يزل يقاتل ويقاتل حتى أصيب برماح القوم، وخر صريعًا.

وحينئذ أخذ الراية جعفر بن أبي طالب، وطفق يقاتل قتالًا منقطع النظير، حتى إذا أرهقه القتال اقتحم عن فرسه الشقراء فعقرها، ثم قاتل حتى قطعت يمينه، فأخذ الراية بشماله، ولم يزل بها حتى قطعت شماله، فاحتضنها بعضديه، فلم يزل رافعًا إياها حتى قتل، وأثابه الله جناحين في الجنة، يطير بهما حيث يشاء، ولذلك سمي بجعفر الطيار، وبجعفر ذي الجناحين.

ولما قتل جعفر بعد أن قاتل بمثل هذه الضراوة والبسالة، أخذ الراية عبد الله بن رواحة، وتقدم بها، وهو على فرسه، فجعل يستنزل نفسه، ويتردد بعض التردد، فقاتل حتى قتل.

الراية إلى سيف من سيوف الله:

وحينئذ تقدم رجل من بني عجلان اسمه ثابت بن أقرم فأخذ





الراية وقال: يا معشر المسلمين، اصطلحوا على رجل منكم، قالوا: أنت. قال: ما أنا بفاعل، فاصطلح الناس على خالد بن الوليد، فلما أخذ الراية قاتل قتالًا مريرًا، ولقد انكسر في يده تسعة أسياف، وصبر في يده صفيحة له يمانية.

وقد قال رسول الله ﷺ يوم مؤتة مخبرًا بالوحي، قبل أن يأتي إلى الناس الخبر من ساحة القتال: «أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذها جعفر فأصيب، ثم أخذها ابن رواحة فأصيب وعيناه تذرفان حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله، حتى فتح الله عليهم».

نهاية المعركة:

ومع الشجاعة البالغة والبسالة والضراوة المريرتين، كان مستغربًا جدًا أن ينجح هذا الجيش الصغير في الصمود أمام تيارات ذلك البحر الهادر من جيوش الروم، ففي ذلك الوقت أظهر خالد ابن الوليد مهارته ونبوغه في تخليص المسلمين مما ورطوا أنفسهم فيه.

وما حدث أن خالد بن الوليد نجح في الصمود أمام جيش الرومان طوال النهار، في أول يوم من القتال، وكان يشعر بالحاجة إلى مكيدة حربية تلقي الرعب في قلوب الرومان حتى ينجح في







الانحياز بالمسلمين من غير أن يقوم الرومان بحركات المطاردة، فقد كان يعرف جيدًا أن الإفلات منهم صعب جدًا لو انكشف المسلمون، وقام الرومان بالمطاردة.

فلما أصبح اليوم الثاني غيّر أوضاع الجيش، وعبأه من جديد، فجعل مقدمته ساقه، وميمنته ميسرته، وعلى العكس، فلما رآهم الأعداء أنكروا حالهم، وقالوا: جاءهم مدد، فرعبوا، وصار خالد بعد أن تراءى الجيشان، وتناوشا ساعة يتأخر بالمسلمين قليلًا، مع حفظ نظام جيشه، ولم يتبعهم الرومان ظنًا منهم أن المسلمين يخدعونهم، ويحاولون القيام بمكيدة ترمي بهم في الصحراء.

وهكذا انحاز العدو إلى بلاده، ولم يفكر في القيام بمطاردة المسلمين ونجح المسلمون في الانحياز سالمين، حتى عادوا إلى المدينة.

S S S





فتح مكة

قد سبق أنه كان في صلح الحديبية بند من بنود هذه المعاهدة يفيد: أن من أحب أن يدخل في عقد محمد ﷺ وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه، وأن القبيلة التي تنضم إلى أي الفريقين تعتبر جزءًا من ذلك الفريق، فأي عدوان تتعرض له أي من تلك، القبائل يعتبر عدوانًا على ذلك الفريق.

وحسب هذا البند دخلت خزاعة في عهد رسول الله ﷺ ودخلت بنو بكر في عهد قريش، وصارت كل من القبيلتين في أمن من الأخرى، وقد كانت بين القبيلتين عداوة وتوترات في الجاهلية، فلما جاء الإسلام، ووقعت هذه الهدنة، أمن كل فريق من الآخر.

فأحب بنو بكر أن يغتنموا هذه الفرصة، وأرادوا أن يصيبوا من خزاعة الثأر القديم، فخرج نوفل بن معاوية الديلي في جماعة من بني بكر، فأغاروا على خزاعة ليلًا، وهم على ماء يقال له: الوتير، فأصابوا منهم رجالًا، وتناوشوا واقتتلوا، وأعانت قريش بني بكر بالسلاح، وقاتل معهم رجال من قريش مستغلين ظلمة الليل، حتى







حـازوا خزاعة إلى الحرم، فلمـا انتهوا إليه قالت بنـو بكر: يا نوفل، إنـا قد دخلنا الحـرم، إلهك إلهك، فقال كلمة عظيمـة: لا إله اليوم يـا بني بكـر، أصيبـوا ثأركـم. فلعمرى إنكـم لتسـرقون في الحرم، أفلا تصيبون ثأركم فيه؟

ثـم خرج بديل بـن ورقاء الخزاعـي في نفر مـن خزاعة، حتى قدمـوا عـلى رسـول الله ﷺ المدينـة، فأخبروه بمـن أصيب منهم، وبمظاهرة قريش بني بكر عليهم، ثم رجعوا إلى مكة.

الجش الإسلامي يدخل مكة:

تحركـت كل كتيبـة من الجيش الإسـلامي عـلى الطريق التي كلفـت بالدخـول منها، ثم دخـل رسـول الله ﷺ مكة ومعه المهاجرون والأنصار بين يديه وخلفه وحوله، حتى دخل المسجد، فأقبل إلى الحجر الأسود، فاستلمه، ثم طاف بالبيت، وفي يده قوس، وحـول البيـت ثلاثمائة وسـتون صنمًـا، فجعل يطعنهـا بالقوس، ويقـول: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١]، ﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ [سبأ: ٤٩]، والأصنام تتسـاقط على وجوهها.



الرسول يصلي في الكعبة ثم يخطب أمام قريش:

ثـم أغلق عليـه الباب، وعلى أسـامة وبلال، فاسـتقبل الجدار الـذي يقابل الباب حتى إذا كان بينه وبينه ثلاثة أذرع وقف، وجعل عمودين عن يسـاره، وعمودًا عن يمينه، وثلاثة أعمدة وراءه وكان البيت يومئذ على ستة أعمدة ثم صلى هناك.

ثـم دار في البيت، وكبر في نواحيـه، ووحد الله، ثم فتح الباب، وقريـش قد ملأت المسـجد صفوفًا ينتظرون ماذا يصنع؟ فأمسـك بالباب وهم تحته، فقال:

«لا إله إلا الله وحده لا شـريك له، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ألا كل مأثرة أو مال أو دم فهو تحت قدمي هاتين، إلا سدانة البيت وسقاية الحاج، ألا وقتيل الخطأ شبه العمد بالسوط والعصا ففيه الدية مغلظة، مائة من الإبل أربعون منها في بطونها أولاد، يا معشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء، الناس من آدم، وآدم من تراب» ثم تلا: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَـٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَـٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾ [الحجرات: ١٣].

ثم قال: «**يا معشر قريش ما ترون أني فاعل بكم؟**».






قالوا: خيرًا، أخ كريم وابن أخ كريم.

قال: «فإني أقول لكم كما قال يوسف لإخوته: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ﴾ [يُوسُف: ٩٢]، اذهبوا فأنتم الطلقاء».

أخذ البيعة:

وحين فتح الله مكة على رسول الله ﷺ والمسلمين، تبين لأهل مكة الحق، وعلموا أن لا سبيل إلى النجاح إلا الإسلام، فأذعنوا له، واجتمعوا للبيعة، فجلس رسول الله ﷺ على الصفا يبايع الناس، وعمر بن الخطاب أسفل منه، يأخذ على الناس فبايعوه على السمع والطاعة فيما استطاعوا.

إقامته ﷺ بمكة وعمله فيها:

وأقام رسول الله ﷺ بمكة تسعة عشر يومًا يجدد معالم الإسلام، ويرشد الناس إلى الهدى والتقى، وخلال هذه الأيام أمر أبا أسيد الخزاعي، فجدد أنصاب الحرم، وبث سراياه للدعوة إلى الإسلام، ولكسر الأوثان التي كانت حول مكة، فكسرت كلها، ونادى مناديه بمكة: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدع في بيته صنمًا إلا كسره.





غزوة حنين

إن فتح مكة كان بمثابة الضربة الشديدة للعرب، ولم تكن القبائل المجاورة تتوقعه، ولم تستطع دفعه، ولذلك لم تمتنع عن الاستسلام للمسلمين، أو عن الدخول في الإسلام، إلا بعض القبائل التي رأت في نفسها القوة في رد المسلمين ومقاومتهم، فاجتمعت هذه القبائل إلى مالك بن عوف النصري، وقررت المسير إلى حرب المسلمين.

ولما أجمع القائد العام مالك بن عوف المسير إلى حرب المسلمين، ساق مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم، فسار حتى نزل بأوطاس وهو واد بالقرب من حنين، لكن وادي أوطاس غير وادي حنين، وحنين وادٍ إلى جنب ذي المجاز، بينه وبين مكة بضعة عشر ميلًا من جهة عرفات.

الجيش الإسلامي يسير إلى حنين:

غادر رسول الله ﷺ مكة وكان ذلك اليوم التاسع عشر من يوم دخوله في مكة خرج في اثنى عشر ألفًا من المسلمين، عشرة آلاف ممن كانوا خرجوا معه لفتح مكة، وألفان من أهل مكة، وأكثرهم حديثو عهد بالإسلام واستعار من صفوان بن أمية مائة درع بأداتها، واستعمل على مكة عتاب بن أسيد.







وقـد كان بعضهم قال نظرًا إلى كثـرة الجيش: لن نغلب اليوم، وكان قد شق ذلك على رسول الله ﷺ.

الجيش الإسلامي يباغت بالرماة والمهاجمين:

انتهـى الجيش الإسـلامي إلى حنيـن، الليلة التي بيـن الثلاثاء والأربعـاء لعشـر خلـون مـن شـوال، وكان مالـك بـن عـوف قـد سـبقهم، فأدخل جيشـه بالليـل في ذلك الـوادي، وفـرق كمناءه في الطـرق والمداخل والشـعاب والأخباء والمضايـق، وأصدر إليهم أمره بأن يرشـقوا المسـلمين أول ما طلعوا، ثم يشـدوا شـدة رجل واحد.

وبالسـحر عبـأ رسـول الله ﷺ جيشـه، وعقـد الألوية والرايات، وفرقها على الناس، وفي أول الصبح اسـتقبل المسـلمون وادي حنين، وشـرعوا ينحدرون فيه، وهم لا يدرون بوجود كمناء العـدو في مضايق هذا الوادي، فبينما هـم ينحطون إذا تمطر عليهم النبال، وإذا كتائب العدو قد شدت عليهم شدة رجل واحد، فانهزم المسلمون راجعين، لا يلوي أحد على أحد، وكانت هزيمة منكرة.

وانحاز رسول الله ﷺ جهة اليمين وهو يقول: «هلموا إلى أيهـا الناس، أنا رسـول الله، أنا محمد بن عبـد الله»، ولم يبق معه





في موقفه إلا عدد قليل من المهاجرين والأنصار، وحينئذ ظهرت شجاعة النبي ﷺ التي لا نظير لها، فقد طفق يركض بغلته قبل الكفار وهو يقول: «**أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب**».

بيد أن أبا سفيان بن الحارث كان آخذًا بلجام بغلته، والعباس بركابه، يكفانها ألا تسرع، ثم نزل رسول الله ﷺ فاستنصر ربه قائلًا: «**اللهم أنزل نصرك**».

رجوع المسلمين واحتدام المعركة:

وأمر رسول الله ﷺ عمه العباس وكان جهير الصوت أن ينادي الصحابه، فنادى العباس: فقال بأعلى صوته: أين أصحاب السمرة؟ فقالوا: يا لبيك، يا لبيك. ويذهب الرجل ليثني بعيره فلا يقدر عليه، فيأخذ درعه، فيقذفها في عنقه، ويأخذ سيفه وترسه، ويقتحم عن بعيره، ويخلي سبيله، فيؤم الصوت، حتى إذا اجتمع إليه منهم مائة استقبلوا الناس واقتتلوا.

وصرفت الدعوة إلى الأنصار: يا معشر الأنصار، يا معشر الأنصار، ثم قصرت الدعوة في بني الحارث بن الخزروع، وتلاحقت كتائب المسلمين واحدة تلو الأخرى كما كانوا تركوا الموقعة، وتجالد الفريقان مجالدة شديدة، ونظر رسول الله ﷺ إلى





ساحة القتال، وقد استحر واحتدم، فقال ﷺ: «**الآن حمي الوطيس**». ثم أخذ رسول الله ﷺ قبضة من تراب الأرض، فرمى بها في وجوه القوم وقال: «**شاهت الوجوه**»، فما خلق الله إنسانًا إلا ملأ عينيه ترابًا من تلك القبضة.

الهزيمة الساحقة للعدو:

وما هي إلا ساعات قلائل بعد رمي القبضة حتى انهزم العدو هزيمة منكرة، وقتل من ثقيف وحدهم نحو السبعين، وحاز المسلمون ما كان مع العدو من مال وسلاح وظعن.

ولما انهزم العدو صارت طائفة منهم إلى الطائف، وطائفة إلى نخلة، وطائفة إلى أوطاس، فأرسل النبي ﷺ إلى أوطاس طائفة من المطاردين يقودهم أبو عامر الأشعري، فتناوش الفريقان القتال قليلًا، ثم انهزم جيش المشركين، وفي هذه المناوشة قتل القائد أبو عامر الأشعري.

وطاردت طائفة أخرى من فرسان المسلمين فلول المشركين الذين سلكوا نخلة، فأدركت دريد بن الصمة فقتله ربيعة بن رفيع.

وأما معظم فلول المشركين الذين لجأوا إلى الطائف، فتوجه إليهم رسول الله ﷺ بنفسه بعد أن جمع الغنائم.






غزوة تبوك

إن فتح مكة كان حدثًا فاصلًا بين الحق والباطل، لم يبق بعده مجال للريبة والظن في رسالة محمد ﷺ عند العرب، ولذلك انقلب المجرى تمامًا، ودخل الناس في دين الله أفواجًا كما سيظهر ذلك من العدد الذي حضر في حجة الوداع وانتهت المتاعب الداخلية، واستراح المسلمون لتعاليم شرائع الله، وبث دعوة الإسلام.

سبب الغزوة:

كانت هناك قوة تعرضت للمسلمين من غير مبرر، وهي قوة الرومان أكبر قوة عسكرية ظهرت على وجه الأرض في ذلك الزمان وقد عرفنا فيما تقدم أن بداية هذا التعرض كانت بقتل سفير رسول الله ﷺ الحارث بن عمير الأزدي، على يدي شرحبيل بن عمرو الغساني، حينما كان السفير يحمل رسالة النبي ﷺ إلى عظيم بصري، وأن النبي ﷺ أرسل بعد ذلك سرية زيد بن حارثة التي اصطدمت بالرومان اصطدامًا عنيفًا في مؤتة، ولم تنجح في أخذ الثأر من أولئك الظالمين المتغطرسين، إلا أنها تركت أروع الأثر في نفوس العرب، قريبهم وبعيدهم.







ولم يكـن قيصر ليصرف نظره عمـا كان لمعركة مؤتة من الأثر الكبير لصالح المسلمين، وعما كان يطمـح إليه بعد ذلك كثير من قبائل العرب من اسـتقلالهم عن قيصر، وانحيازهم للمسلمين، إن هـذا كان خطـرًا يتقدم ويخطو خطـوة بعد خطوة، ويهـدد الحدود الشـامية التي تجـاور العرب، فكان يري أنه يجـب القضاء على قوة المسـلمين قبل أن تتجسـد في صورة خطر عظيم، لا يمكن القضاء عليها.

ونظرًا إلى هذه المصالح، لم يقض قيصر بعد معركة مؤتة سـنة كاملـة حتى أخذ يهيء جيشًـا من الرومان والعـرب التابعة لهم من آل غسان وغيرهم، وبدأ يجهز لمعركة دامية فاصلة.

وكان رسـول الله ﷺ يعرف كل ذلك جيدًا، ومع ذلك قرر القيام مع ما كان فيه من العسرة والشدة بغزوة فاصلة يخوضها المسـلمون ضد الرومان في حدودهـم، ولا يمهلونهم حتى يزحفوا إلى دار الإسلام.

المسلمون يتسابقون إلى تجهيز الجيش:

ولم يكن من المسلمين أن سمعوا صوت رسول الله ﷺ يدعو إلى قتال الروم، إلا أن تسابقوا إلى امتثال أمره، فقاموا يتجهزون







للقتال بسرعة بالغة، وأخذت القبائل والبطون تهبط إلى المدينة من كل صوب وناحية، ولم يرض أحد من المسلمين أن يتخلف عن هذه الغزوة، حتى كان يجيء أهل الحاجة والفقر يطلبون الركوب مع رسول الله ﷺ ليخرجوا إلى قتال الروم، فإذا قال لهم:

﴿لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ﴾ [التوبة: ٩٢].

ولما تسابق المسلمون في إنفاق الأموال وبذل الصدقات، كان عثمان بن عفان قد جهز عيرًا للشام، مائتا بعير بكل ما تحمل، ومائتا أوقية، فتصدق بها، ثم تصدق بمائة بعير بكل ما تحمل، ثم جاء بألف دينار فنثرها في حجر رسول الله ﷺ، فكان رسول الله ﷺ يقلبها ويقول: «**ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم**»، ثم تصدق حتى بلغ مقدار صدقته تسعمائة بعير ومائة فرس غير النقود.

وجاء عبد الرحمن بن عوف بمائتي أوقية فضة، وجاء أبو بكر بماله كله ولم يترك لأهله إلا الله ورسوله وكانت أربعة آلاف درهم وهو أول من جاء بصدقته، وجاء عمر بنصف ماله، وجاء العباس





بمال كثير، وجاء طلحة وسعد بن عبادة ومحمد بن مسلمة، كلهم جاءوا بمال، وجاء عاصم بن عدي بتسعين وسقا من التمر، وتتابع الناس بصدقاتهم قليلها وكثيرها، حتى كان منهم من أنفق مدا أو مدين لم يكن يستطيع غيرها، وبعثت النساء ما قدرن عليه من مسك ومعاضد وخلاخل وقرط وخواتم.

الجيش الإسلامي يتجه إلى تبوك:

وتحرك رسول الله ﷺ يوم الخميس نحو الشمال يريد تبوك، ولكن الجيش كان كبيرًا ثلاثون ألف مقاتل، لم يخرج المسلمون في مثل هذا الجمع الكبير قبله قط فلم يستطع المسلمون مع ما بذلوه من الأموال أن يجهزوه تجهيزًا كاملًا، بل كانت في الجيش قلة شديدة بالنسبة إلى الزاد والمراكب، فكان كل ثمانية عشر رجلًا يتعاقبون بعيرًا واحدًا، وربما أكلوا أوراق الأشجار حتى تورمت شفاههم، واضطروا إلى ذبح البعير مع قلتها ليشربوا ما في بطنه من الماء، ولذلك سمي هذا الجيش «جيش العسرة».

الجيش الإسلامي يصل تبوك:

نزل الجيش الإسلامي بتبوك، فعسكر هناك، وهو مستعد للقاء العدو، وقام رسول الله ﷺ فيهم خطيبًا، وحض على





خيـرى الدنيا والآخرة، وحذر وأنذر، وبشـر، حتى رفع معنوياتهم، وجبر بها ما كان فيهم من النقص والخلل من حيث قلة الزاد والمادة والمؤنة.

وأما الرومـان وحلفاؤهـم فلمـا سـمعوا بزحف رسـول الله ﷺ أخذهـم الرعـب، فلم يجترئـوا على التقـدم واللقاء، بل تفرقوا في البلاد في داخل حدودهم، فكان لذلك أحسـن أثر بالنسبة إلى سمعة المسلمين العسكرية، في داخل الجزيرة وأرجائها النائية، وحصل بذلك المسلمون على مكاسب سياسية كبيرة خطيرة، لعلهم لم يكونوا يحصلون عليها لو وقع هناك اصطدام بين الجيشين.

S S S





حجة الوداع

شاء الله تَعَالَىٰ أن يري رسوله ﷺ ثمار دعوته، التي عاني في سبيلها ألوانًا من المتاعب بضعًا وعشرين عامًا، فيجتمع في أطراف مكة بأفراد قبائل العرب وممثليها، فيأخذون منه شرائع الدين وأحكامه، ويأخذ منهم الشهادة على أنه أدي الأمانة، وبلغ الرسالة، ونصح الأمة.

فأعلن النبي ﷺ بقصده لهذه الحجة المبرورة المشهودة، فقدم المدينة بشر كثير كلهم يلتمس أن يأتم برسول الله ﷺ.

وفي يوم السبت لخمس بقين من ذي القعدة تهيأ النبي ﷺ للرحيل، فتجهز وانطلق بعد الظهر، حتى بلغ ذا الحليفة قبل أن يصلي العصر، فصلاها ركعتين، وبات هناك حتى أصبح.

وقبل أن يصلي الظهر اغتسل لإحرامه، ثم طيبته عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بيدها بطيب فيه مسك، في بدنه ورأسه، حتى كان لون الطيب يري في مفارقه ولحيته، ثم لبس إزاره ورداءه، ثم صلى الظهر ركعتين، ثم أهل بالحج والعمرة في مصلاه، وقرن بينهما، ثم خرج، فركب ناقته القصواء، فأهل أيضًا، ثم أهل لما استقلت به على البيداء.



ثم واصل سيره حتى قرب من مكة، فبات بذي طوي، ثم دخل مكة بعد أن صلى الفجر واغتسل من صباح يوم الأحد لأربع ليال خلون من ذي الحجة، وقد قضى في الطريق ثماني ليال فلما دخل المسجد الحرام طاف بالبيت، وسعي بين الصفا والمروة، ولم يحل، لأنه كان قارنًا قد ساق معه الهدي، فنزل بأعلى مكة عند الحجون، وأقام هناك، ولم يعد إلى الطواف غير طواف الحج.

وفي اليوم الثامن من ذي الحجة وهو يوم التروية توجه إلى مني، فصلى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر خمس صلوات ثم مكث قليلًا حتى طلعت الشمس، أمر بالقصواء فرحلت له، فأتى بطن الوادي، وقد اجتمع حوله مائة ألف وأربعة وعشرون من الناس، فقام فيهم خطيبًا، وألقى هذه الخطبة الجامعة:

«أيها الناس، اسمعوا قولي، فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبدًا».

إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا.

ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع، ودماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن





الحارث، وربا الجاهلية موضوع، وأول ربا أضع من ربانا ربا عباس بن عبد المطلب، فإنه موضوع كله.

فاتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحدًا تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربًا غير مبرح، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف.

وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به، كتاب الله.

أيها الناس، إنه لا نبي بعدي، ولا أمة بعدكم، ألا فاعبدوا ربكم، وصلوا خمسكم، وصوموا شهركم، وأدوا زكاة أموالكم، طيبة بها أنفسكم، وتحجون بيت ربكم، وأطيعوا ولاة أمركم، تدخلوا جنة ربكم.

وبعد أن فرغ النبي ﷺ من إلقاء الخطبة نزل عليه قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، ولما نزلت بكي عمر، فقال له النبي ﷺ: «**ما يبكيك؟**» قال: أبكاني أنا كنا في زيادة من ديننا، فأما إذا كمل فإنه لم يكمل شيء قطّ إلا نقص فقال: «صدقت».





وبعـد الخطبة أذن بلال ثم أقام، فصلى رسـول الله ﷺ بالناس الظهر، ثم أقام فصلى العصر، ولم يصل بينهما شيئًا، ثم ركب حتى أتي الموقف، فجعل بطن ناقته القصواء إلى الصخرات، وجعل جبل المشـاة بين يديه، واسـتقبل القبلة، فلم يزل واقفًا حتى غربت الشمس، وذهبت الصفرة قليلًا حتى غاب القرص.

وخطـب النبي ﷺ يـوم النحر عاشـر ذي الحجة أيضًا حين ارتفع الضحي، وهو على بغلة شهباء، وعلي يذبح عنه، والناس بيـن قائـم وقاعد، وأعـاد في خطبته هـذه بعض مـا كان ألقاه أمس، قال:

«إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، السـنة اثنا عشر شهرًا، منها أربعة حرم، ثلاث متواليات، ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، وجب مضر الذي بين جمادي وشعبان».

ولمـا قضـي مناسـكه حـث الـركاب إلى المدينـة المطهـرة، لا ليأخـذ حظًـا من الراحـة، بل ليسـتأنف الكفاح والكـدح لله وفي سبيل الله.

S S S







الوداع الأخير

ولما تكاملت الدعوة وسيطر الإسلام على الموقف، أخذت ملامح التوديع للحياة والأحياء تظهر وتتضح بعباراته وأفعاله ﷺ.

ذلك أنه اعتكف ﷺ في رمضان من السنة العاشرة عشرين يومًا، بينما كان لا يعتكف إلا عشرة فحسب، وتدارسه جبريل القرآن مرتين.

وقال في حجة الوداع: «**إني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبدًا**».

وقال وهو عند جمرة العقبة: «**خذوا عني مناسككم، فلعلي لا أحج بعد عامي هذا**».

وأنزلت عليه سورة النصر في أوسط أيام التشريق، فعرف أنه الوداع وأنه نعيت إليه نفسه.

وفي اليوم الثامن أو التاسع والعشرين من شهر صفر سنة ١١ هـ شهد رسول الله ﷺ، جنازة في البقيع، فلما رجع، وهو في الطريق أخذه صداع في رأسه، واتقدت حرارته، حتى إنهم





كانوا يجدون شدتها من فوق العصابة التي تعصبت بها رأسه، وثقل برسول الله ﷺ المرض، فجعل يسأل أزواجه: «**أين أنا غدًا؟ أين أنا غدًا؟**» ففهمن مراده، فأذن له يكون حيث شاء، فانتقل إلى بيت عائشة يمشي بين الفضل بن عباس وعلي بن أبي طالب، عاصبًا رأسه، تخط قدماه حتى دخل بيتها، فقضي عندها آخر أسبوع من حياته.

وكانت عائشة تقرأ بالمعوذات والأدعية التي حفظتها من رسول الله ﷺ فكانت تنفث على نفسه، وتمسحه بيده رجاء البركة.

ويوم الأربعاء قبل خمسة أيام من الوفاة، اتقدت حرارة العلة في بدنه، فاشتد به الوجع وغمي، فقال: «**أسيلوا علي سبع قرب من آبار شتي، حتى أخرج إلى الناس، فأعهد إليهم**»، فأقعدوه، عليه الماء حتى قال: «حسبكم، حسبكم».

وعند ذلك أحس بخفة، فدخل المسجد متعطفًا ملحفة على منكبيه، قد عصب رأسه بعصابة دسمة حتى جلس علي المنبر، وكان آخر مجلس جلسه، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «**أيها الناس، أثيبوا إلي**»، فثابوا إليه، فقال فيما قال: «**لعنة الله على اليهود**







والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» وقال: «**لا تتخذوا قبري وثنًا يعبد**».

والنبي ﷺ مع ما كان به من شدة المرض كان يصلي بالناس جميع صلواته حتى يوم الخميس قبل الوفاة بأربعة أيام، وقد صلى بالناس ذلك اليوم صلاة المغرب، فقرأ فيها بالمرسلات عرفًا.

وعند العشاء زاد ثقل المرض، بحيث لم يستطع الخروج إلى المسجد، فقال النبي ﷺ لمن حوله: «**أصلي الناس؟**» قالوا: لا يا رسول الله، وهم ينتظرونك. قال: «**ضعوا لي ماء في المخضب**»، ففعلوا، فاغتسل، فذهب لينهض فأغمى عليه. ثم أفاق، فقال: «**أصلي الناس؟**»، ووقع ثانيًا وثالثًا مثل ما وقع في المرة الأولى من الاغتسال ثم الإغماء حينما أراد أن ينهض.

فأرسل إلى أبي بكر أن يصلي بالناس، فصلى أبو بكر تلك الأيام سبع عشرة صلاة في حياته ﷺ وهي صلاة العشاء من يوم الخميس، وصلاة الفجر من يوم الاثنين، وخمس عشرة صلاة فيما بينها.





ويوم السبت أو الأحد وجد النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في نفسه خفة، فخرج بين رجلين لصلاة الظهر، وأبو بكر يصلي بالناس، فلما رآه أبو بكر ذهب ليتأخر، فأومأ إليه بألا يتأخر، قال: «**أجلساني إلى جنبه**»، فأجلساه إلى يسار أبي بكر، فكان أبو بكر يقتدي بصلاة رسول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ويسمع الناس التكبير.

وقبل الوفاة يوم الأحد أعتق النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ غلمانه، وتصدق بستة أو سبعة دنانير كانت عنده، ووهب للمسلمين أسلحته، وكانت درعه صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعًا من الشعير.

آخر يوم من حياة الحبيب صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ:

وكان المسلمون بينما هم في صلاة الفجر من يوم الاثنين وأبو بكر يصلي بهم فوجئوا برسول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كشف ستر حجرة عائشة فنظر إليهم، وهم في صفوف الصلاة، ثم تبسم يضحك، فنكص أبو بكر على عقبيه، ليصل الصف، وظن أن رسول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يريد أن يخرج إلى الصلاة، وهم المسلمون أن يفتتنوا في صلاتهم، فرحًا برسول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فأشار إليهم بيده صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أن أتموا صلاتكم، ثم دخل الحجرة وأرخي الستر.





ولما ارتفع الضحى، دعا النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة فسارها بشيء فبكت، ثم سارها بشيء فضحكت، قالت عائشة: فسألنا عن ذلك أي فيما بعد فقالت: سارني النبي صلى الله عليه وسلم أنه يقبض في وجعه الذي توفي فيه، فبكيت، ثم سارني فأخبرني أني أول أهله يتبعه فضحكت.

الاحتضار:

وبدأ الاحتضار فأسندته عائشة إليها، وكانت تقول: إن من نعم الله على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي في بيتي وفي يومي وبين سحري ونحري، وأن الله جمع بين ريقي وريقه عند موته، دخل عبد الرحمن بن أبي بكر وبيده السواك، وأنا مسندة رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيته ينظر إليه، وعرفت أنه يحب السواك، فقلت: آخذه لك؟ فأشار برأسه أن نعم. فتناولته فاشتد عليه، وقلت: ألينه لك؟ فأشار برأسه أن نعم. فلينته، فاستن به كأحسن ما كان مستنا، وبين يديه ركوة فيها ماء، فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح به وجهه، ويقول: «لا إله إلا الله، إن للموت سكرات...».

وما لبث أن فرغ من السواك حتى رفع يده أو أصبعه، وشخص بصره نحو السقف، وتحركت شفتاه، فأصغت إليه عائشة وهو







يقول: «مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، اللهم اغفر لي وارحمني، وألحقني بالرفيق الأعلى. اللهم، الرفيق الأعلى»، كرر الكلمة الأخيرة ثلاثًا، ومالت يده ولحق بالرفيق الأعلى صلى الله عليه وسلم.

موقف الصحابة:

فلما علم المسلمون بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتد عليهم الأمر، وما كادوا يصدقون، وأخذهم الحزن كل مأخذ، فكانوا لا يصدقون أنهم لن يروا الحبيب صلى الله عليه وسلم مرة أخرى.

ووقف عمر بن الخطاب يقول: إن رجالًا من المنافقين يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما مات، ولكن ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران، فغاب عن قومه أربعين ليلة، ثم رجع إليهم بعد أن قيل: قد مات، ووالله، ليرجعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم يزعمون أنه مات.

وأقبل أبو بكر على فرس من مسكنه حتى نزل، فدخل المسجد، فلم يكلم الناس، حتى دخل على عائشة فتيمم رسول صلى الله عليه وسلم، وهو مغشي بثوب، فكشف عن وجهه ثم أكب عليه، فقبله وبكي،







ثـم قال: بأبي أنـت وأمي، لا يجمـع الله عليك موتتيـن، أما الموتة التي كتبت عليك فقد متها.

ثم خـرج أبو بكر، وعمر يكلم الناس، فقـال: اجلس يا عمر، فأبـي عمر أن يجلس، فتشـهد أبو بكـر، فأقبل الناس إليـه، وتركوا عمر، فقال أبو بكر: أما بعد، من كان منكم يعبد محمدًا ﷺ، فإن محمدًا قد مات، ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حي لا يموت، قـال الله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

التجهيز وتوديع الجسد الشريف:

ووقـع الخـلاف في أمـر الخلافـة قبـل أن يقومـوا بتجهيـزه ﷺ فجـرت مناقشـات ومجـادلات وحـوار وردود بيـن المهاجريـن والأنصـار في سـقيفة بني سـاعدة، وأخيـرًا اتفقوا على خلافـة أبـي بكـر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومضي في ذلـك بقية يـوم الاثنين حتى دخـل الليل، وشـغل الناس عن تجهيز رسـول الله ﷺ حتى كان آخـر الليل ليلـة الثلاثاء مع الصبح، وبقي جسـده المبارك على فراشه مغشي بثوب، قد أغلق دونه الباب أهله.





ويوم الثلاثاء غسلوا رسول الله ﷺ من غير أن يجردوه من ثيابه، وكان القائمون بالغسل: العباس وعليا، والفضل وقثم ابني العباس، وشقران مولي رسول الله ﷺ وأسامة بن زيد، وأوس بن خولي، فكان العباس والفضل وقثم يقلبونه، وأسامة وشقران يصبان الماء، وعلي يغسله، وأوس أسنده إلى صدره.

وقد غسل ثلاث غسلات بماء وسدر، وغسل من بئر يقال لها: الغرس لسعد بن خثيمة بقباء وكان يشرب منها، ثم كفنوه في ثلاثة أثواب يمانية بيض سحولية من كرسف، ليس فيها قميص ولا عمامة.

واختلفوا في موضع دفنه، فقال أبو بكر: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما قبض نبي إلا دفن حيث يقبض**» فرفع أبو طلحة فراشه الذي توفي عليه، فحفر تحته، وجعل القبر لحدًا.

ودخل الناس الحجرة أرسالًا، عشرة فعشرة، يصلون على رسول الله ﷺ أفذاذًا، لا يؤمهم أحد، وصلى عليه أولًا أهل عشيرته ثم المهاجرون، ثم الأنصار، ثم الصبيان، ثم النساء، أو النساء ثم الصبيان.

وبهذا ننتهي من أحداث السيرة النبوية على صاحبها الصلاة وأتم التسليم..







فِهرِس



S S S

هذا الكتاب منشور في

